# عالمية الحضارة الإسلامية

إذا كانت أركان الحضارة الإسلامية تتكون كما قدمنا سابقاً من الربط بين العلم والعمل والإيمان ، وتتحرك فى ساحة التسليم لله ، بطاقة محركة تنبثق من العبودية لله ، وآلية تستمد من سيطرة الآخرة على الدنيا ؛ فإنه يجب أن نعلم أيضاً أن انفتاحها لايقف دون العالمية .

وهى عالمية تقرر وفقا لصريح القرآن وصحيح السنة :

يقول تعالى ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ الفرقان .

ويقول تعالى ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون** . ﴾ ٢٨ سبأ .

ويقول تعالى ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** . ﴾ ١٠٧ الأنبياء .

ويقول تعالى ﴿ **قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** . ﴾ ٥٨ الأعراف .

ويقول تعالى ﴿ **ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ...** ﴾

ويقول تعالى ﴿ **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** . ﴾ ١٣ الحجرات .

ويقول تعالى ﴿ **ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** . ﴾ ٥١ـ٥٢ المؤمنون .

وفى الحديث الشريف يقول الرسول :

( أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى : كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود . ) صحيح مسلم .

**وعالمية الإسلام هى التى اخترقت حواجز القومية :**

فى حجة الوداع يقول ( أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، وكلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربى فضل على عجمى ، ولا

لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى ) .

ولما بلغ النبى ﷺ استهانة أحد المنافقين بسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، قام مغضبا وخطب الناس فى المسجد فقال : ( ياأيها الناس إن الرب واحد والأب واحد ، وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى .) ابن عساكر .

**وعالمية الإسلام هى التى اخترقت حواجز اللون :**

وانظر قصة أبى ذر الغفارى مع بلال رضى الله عنهما ، إذ تجادل معه واشتد به الغضب ، فقال له أبو ذر ( ياابن السوداء .. ) فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك أنكره أشد الإنكار ودعا أبا ذر إليه وسأله :

أعيّرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، طف الصاع ، طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح ) فندم أبو ذر وألصق خده بالأرض وقال لبلال : ( قم فطأ على خدى ) رواه البخارى .

وكان عبادة بن الصامت رضى الله عنه من الصحابة الأجلاء أسود اللون ، وكان رئيس الوفد الذى أرسله عمرو بن العاص لمفاوضة المقوقس ، فضاق به المقوقس لسواده ، وطلب من الوفد أن يتكلم غيره ، فاعتذر الوفد عن ذلك ، وأصروا على أن يكون عبادة هو المتكلم ، قائلين للمقوقس :

( هذا أفضلنا رأياً وعلماً ، وهو سيدنا وخيرنا ، وقد أمره الأمير علينا فلا نخالف أمره . )

**وعالمية الإسلام هى التى اخترقت طبقات الغنى والفقر :**

مر رجل من وجهاء الناس أمام مجلس لرسول الله { فسأل أصحابه قائلاً :

ماترون فى هذا؟ قالوا : رجل من أشراف الناس ، وهو حرى إن خطب أن يزوّج ، وإن شفع أن يشفّع ، وإن قال أن يسمع لقوله .

فسكت رسول الله ﷺ .

ثم مر رجل آخر ، فسألهم : ماترون فى هذا ؟

قالوا : رجل من فقراء المسلمين وهو حرى إن خطب ألا يُزوّج ، وإن شفع ألا يشفع ، وإن قال ألا يسمع قوله .

فقال رسول ﷺ ( هذا خير من ملء الأرض من هذا ) .

**وعالمية الإسلام هي التي اخترقت طبقية الحكام والرعاة .**

وتعرفون قصة جبلة بن الأيهم من ملوك آل جفنة مع عمر رضى الله عنه .

أسلم على زمن عمر رضى الله عنه ، ولما قدم على عمر أحسن استقباله وخرجا إلى الحج .

فبينما كان جبلة يطوف بالبيت إذ وطئ ازاره رجل من بنى فزارة فانحل ، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزارى .

فلما علم رضى الله عنه بذلك خيّره بين أن يرضىَ الرجلَ أو يقتص الرجل منه ، فسخط جبلة وماكان منه إلا أن فر مع قومه إلى القسطنطينية ، ووجد فى النصرانية موئلا له ، على مابه من كبر وعصبية وتعال على بقية خلق الله .

**وعالمية الإسلام هي التي اخترقت سدود الجنسيات والأعراق :**

وتعرفون قصة محمد بن عمرو بن العاص مع المصرى عندما ضربه لسبقه إياه ، قائلاً : أنا ابن الأكرمين . فشكا المصرى محمدا إلى الخليفة عمر رضى الله عنه ، فأرسل إلى عمرو بن العاص وابنه أن يحضرا إذا جاءهما كتابُه ، فلما حضرا أمر عمرُ المصرىَ أن يضرب محمدا بالدرة ، فضربه كثيراً ، وعمر يقول : إضرب ابن الأكرمين ، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ماضربك ـ أى ابنه ـ إلا بسلطانه .

قال الرجل المصرى : ياأمير المؤمنين ، قد ضربت من ضربنى . فقال عمر : أما والله لو ضربته ماحلنا بينك وبينه ، ثم قال لعمرو : أيا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أحراراً .

**وعالمية الإسلام هى التى اخترقت الحواجز بين المسلمين وأهل الذمة :**

يقول رسول الله ﷺ ( لهم مالنا وعليهم ماعلينا . )

ويقول ( من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة ، ومن خاصمته خصمته . )

وأوصى عمر رضى الله عنه ( أن يُوفَى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من وراءهم ، ولايكلفهم فوق طاقتهم . )

**وعالمية الإسلام هى التى أزالت الفروق بين الأنبياء جميعا:**

يقول رسول الله ﷺ ( أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة ) .

والأنبياء إخوة لعلاّت ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد . ) رواه البخارى ويقول ( إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمّله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويَعْجَبُون له ويقولون : هلاّ وُضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين . ) متفق عليه .

ويقول تعالى ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل .** ﴾ ٥٧ الأعراف .

**وعالمية الإسلام هى التى اخترقت حواجز الأرض والحدود فجعلت الأرض مسرحا متصلا :**

يقول تعالى : ﴿ **قل ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة ، وإياى فاعبدون .** ﴾

ويقول تعالى : ﴿ **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة .** ﴾

وروى النسائى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال :

( مات رجل بالمدينة ممن ولدوا بها ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال :

ياليته مات بغير مولده .

قالوا : ولم ذاك يارسول الله ؟

قال : إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس بين مولده إلى منقطع أثره فى الجنة . )

**وعالمية الإسلام تطابقت مع خاتميته :**

لأنها ـ أى هذه الخاتمية ـ تعنى أنه لم تعد للبشرية جميعاً حاجة لنبى بعد محمد ﷺ ، ولايتطابق ذلك إلا مع العالمية .

يقول الرسول ﷺ ( فضلت على الأنبياء بست ... ) وذكر منها (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون . )

ويقول ﷺ ( أنا العاقب فلا نبى بعدى . ) صحيح مسلم .

ويقول ( ولى خمسة أسماء :

أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب . ) صحيح مسلم .

ويقول : ( إنى عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمجندل فى طينه ، وسأخبركم عن ذلك : أنا دعوة أبى إبراهيم وبشارة عيسى . ) رواه أحمد .

**ومن أمارات عالمية الإسلام أن أجناساً غير العرب وجده ـ أى الإسلام ـ يكون لها كما يكون لغيرها :**

ومن هنا دخله الفرس فأحسوا أن الإسلام هو لهم أيضاً ، ودخله الأتراك فأحسوا أن الإسلام هو لهم كما قد كان للعرب والفرس من قبل .

ودخله أهل الأندلس فى الغرب فكان الإسلام لهم كما هو للمسلمين فى المشرق .

ودخله الأفارقة فأحسوا أنه هو لهم كذلك .

ويدخله الأوربيون فى العصر الحديث فيحسون أنهم هم دعاة الإسلام.

ومن هنا فإن المتشائمين فى مستقبل الإسلام - بالنظر إلى تدهور حال العرب أو الفرس أو الأتراك - يجهلون أعماق كون الإسلام عالمياً ، يجهلون أن الإسلام ليس لهؤلاء وحدهم ، وإنما هو للبشرية عموماً .

وأن دولة العرب لم تكن إلا دورة واحدة من دورات الحضارة الإسلامية .

وأن دولة الفرس ـ فى ظل الإسلام ـ لم تكن إلا دورة واحدة من دورات الحضارة الإسلامية .

وأن الدولة العثمانية لم تكن إلا دورة من دورات هذه الحضارة كذلك.

وإذا كان بعض فلاسفة الحضارة - شبنجلر مثلاً - يرون ـ بحق ـ أن التاريخ ماهو إلا مسرح لعدد كبير من الحضارات العظمى ، وأن لكل منها فكرتها وعواطفها وحياتها وإرادتها وشعورها وموتها الخاص بها ... فإنهم لايدركون الحقيقة بالنسبة للإسلام ، إذ ينظرون إليه باعتباره حضارة أدت دورها وانتهت .

ذلك لأن عالمية الإسلام تجعله باقياً فى انسياحه وتنقله وقابليته لجميع الشعوب .

فالإسلام يصنع دورات من حضارة : يقوم فيها العرب بدور ثم يقوم فيها الفرس بدور ، ثم يقوم فيها الترك بدور ، ثم يقوم فيها الأفارقة ، والأوربيون بدور .

لأن الإسلام ليس لجنسية من هؤلاء ، إنما هو للعالم .

لأنه هو النظام العالمى .

**ولكى يكون نظام ما انسانياً عالمياً فإنه لابد له من شروط موضوعية :**

١ - أن يكون قائماً على إيثار الإنسان وتفضيله على غيره من المخلوقات.

٢ - أن يكون قائماً على الرحمة بالإنسان والعطف عليه وتكريمه والحب له .

٣ - أن يكون محققاً للتوازن الضرورى المطلوب بين حرية الإنسان وعبوديته .

٤ - أن يكون قائماً على العلم : العلم بالإنسان وتكوينه وظروفه وغاياته القريبة وغايته العليا .

٥ - أن يكون قائماً على العدل .

**وإنه لمن المؤكد أن ليس ثمة نظام يجمع بين هذه الصفات ليكون نظاماً إنسانياً عالمياً غير الإسلام :**

**أولاً :** فهو من الناحيةالأولى : ( إيثار الإنسان ..... إلخ ) نجد ذلك فى الإسلام من بداية وجود آدم عليه السلام .

فمن بداية الأمر ، وعند خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام ، أمر الله الملائكة بالسجود للإنسان .

ومن بداية الأمر أيضاً طرد إبليس من رحمة الله لعصيانه هذا الأمر.

ومن بداية الأمر أيضاً آثره الله على الملائكة إذ علمه مالم يكونوا يعلمون .

والقرآن الكريم يصرح بأن الله سبحانه وتعالى خلق للإنسان البيئة الكونية المحيطة به ، وسخرها له وجعلها فى خدمته .

وحيث يصرح القرآن بذلك لانجد به إشارة واحدة تدل على أن الإنسان مخلوق لخدمة أحد غيره ، أو لنفع مخلوق آخر .

ولقد جاء الإسلام إلى بنى آدم ـ منذ البداية ـ ليجعل الإنسان على شرف الصلة المباشرة بالله ، وليمحو الوسائط من طريقه إلى الله : **﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ﴾**

**ثانياً : أما كونه قائماً على الرحمة بالإنسان ، والعطف عليه والحب له فإن الإسلام يقدم لنا علاقة الإنسان بالله باعتبارها قائمة على الحب له والعطف عليه والرحمة به بشرط أن يتوجه اليه :**

يقول تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . ﴾

ويقول : ﴿ إن الله يحب المحسنين . ﴾

ويقول : ﴿ إن الله يحب المتقين . ﴾

ويقول : ﴿ إن الله يحب المتوكلين . ﴾

( فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ) .

وفى الحديث القدسى ( وجبت محبتى للمتحابين فىّ ، والمتجالسين فىّ والمتزاورين فىّ ، والمتباذلين فىّ ) مصابيح الامام البغوى / حسن .

ومن حديث عمر بن الخطاب مما رواه الشيخان ، أنه قدم على النبى ﷺ سبيٌ ، فإذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسقى ، إذ وجدت صبياً فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا النبى ﷺ :

أترون هذه طارحة ولدها فى النار ، قلنا : لا وهى تقدر على ألا تطرحه .

فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها . )

ومن حديث أبى هريرة مما اتفق عليه الشيخان أن رسول الله قال:

قال رجل لم يعمل خيراً قط .. فإذا مات فحرقوه وأذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر ، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لايعذبه أحداً من العالمين .

فأمر الله البحر فجمع مافيه ، وأمر البر فجمع مافيه ، ثم قال : لم فعلت ؟

قال : من خشيتك وأنت أعلم .

فغفر له . )

وروى الشيخان أيضاً ( لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله . قال : أرجع إلى مكانى ، فرجع فنام نومة .

ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده . )

**ثالثاً : أما عن كونه محققا لحرية الإنسان التامة ، وعبوديته التامة كذلك فذلك هو التوحيد فى الإسلام :**

( لا إله إلا الله . )

( إياك نعبد ... )

وهو التوحيد فى مصدر التشريع :

إن من يشرّع لك يستعبدك .

فأولئكم - فى غير الإسلام - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . )

أما فى الإسلام ( إن الحكم إلا لله . )

يقول الدكتور هرمان راندال فى عبودية التشريع - فى حديثه عن بنتام - : ( كان من المتفق عليه فى القرن الثامن عشر أن الله هو المشرّع ... ولقد سعى الناس لأن يجدوا قوانين الله فى تلك الطبيعة.

وهكذا فما صنعه الله للطبيعة والانسان معاً يصنعه المشرّع للمجتمع.)

فلا مبالغة فى قولنا : إن من يشرّع لك يستعبدك ، سواء كان ذلك متمثلاً فى شخص المستشار القانونى المتواضع ، أو كان متمثلاً فى تشريعات الكونجرس ، أو البنك الدولى ، أو مجلس الأمن ، أو المجمع المسكونى .

ومن ثم يصبح النظام الإسلامى هو الوحيد الذى يحقق للإنسان حريته كشرط من شروط العالمية الانسانية .

**رابعاً : أما كونه قائماً على العدل :**

فالعدل الإلهى هو وحده العدل الحقيقى ، لأن البشر جميعاً نسبتهم إليه واحدة ، فهو خالقهم جميعاً ورازقهم جميعاً ، ومعلمهم جميعاً ، وهاديهم جميعاً.

فلا يتحيز كما يتحيز البشر لطبيعة .

ولايتحيز كما يتحيز البشرلجنس .

ولايتحيز كما يتحيز البشر لإقليم .

ولايتحيز كما يتحيز البشر لمصلحة .

وأخيراً فإنه لايتحيز كما يتحيز الكهنة ضد البشرية كلها لتأتى خلاصها - أى هذه البشرية - على يدهم وحدهم .

ومن ثم يقرر الإسلام أنه ( **لاتزر وازرة وزر أخرى .** ) فلا يرث البشر خطيئة آدم لتظل لعنة الخطيئة مسلطة على رقابهم إلى يوم الكنيسة (!).

يقول تعالى : ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلاً .** ﴾ ١١٥ الأنعام .

ويقول تعالى : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ ٤٧ الأنبياء.

ويقول تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان .** ﴾ ٩٠ النحل .

ويقول تعالى : ﴿ **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .** ﴾ ٥٨ النساء .

ويقول تعالى : ﴿ **ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ ٨ المائدة .

ويقول تعالى : ﴿ **وماربك بظلام للعبيد .** ﴾ ٢٩ ق .

ويقول تعالى : ﴿ **وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم** ﴾ ١٠١ هود .

ويقول تعالى : ﴿ **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا .** ﴾ ١٣ يونس .

وفى الحديث القدسى :

( اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . ) صحيح / مصابيح البغوى .

( مامن أمير عشيرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يَفُك عنه العدلُ ، أو يوبقه الجور ) مصابيح البغوى .

**خامساً : أما كونه قائماً على العلم :**

فذلك لأنه صادر من الله سبحانه وتعالى الخالق للإنسان .

يقول تعالى : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .** ﴾

صادر ممن يعلم علماً تاماً محيطاً : حقيقة الإنسان وتكوينه وإمكاناته وغاياته وتطوراته على مدى التاريخ الإنسانى كله ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

وهو عالم أيضاً علماً تاماً محيطاً بالظروف المحيطة بالإنسان : فى المجتمع ، وفى الأرض ، وفى الكون . والإنسان بالضرورة يتأثر بذلك كله ؛ إنه يتأثر حتى بالأشعة الكونية التى تأتيه من وراء المجرة التى تسكنها الأرض .

إنه ليس هناك نظام يصح أن يوصف بأنه للإنسانية كلها إلا أن يكون صادراً ممن يحيط بهذه العلوم جميعاً ، وليس ذلك إلا لله ، خالق الإنسان ، وخالق الأرض وخالق الكون ، والمدبر لها جميعاً ، لغاية يقررها لها جميعاً .

إن الله هو الصانع الحقيقى ، ولانظام يصح للمصنوع إلا أن يكون مأخوذا من تعاليم الصانع .

إن الصانع هو الذى يعلم أسرار صنعته ، والاعراض عن الصانع فيه تدمير للمصنوع ، وانحراف به عن الغرض الذى صنع من أجله .

وإذن فلا نظام عالمياً للإنسان إلا أن يكون مأخوذاً من الله سبحانه وتعالى : أى إلا أن يكون هو الإسلام .

## المرجعية فى النظام العالمى :

إنك إذا دعوت إلى نظام عالمى فإنك لابد أن تحتكم إلى فلسفة أو نظرية أو عقيدة توضح الحقوق والواجبات والغايات التى يقوم عليها هذا النظام .

ولذا فإن لكل فلسفة أو نظرية نظامها الخاص بها ، وإذا كانت النظرية أو الفلسفة تنتمى إلى فرد معين ، أو أمة معينة ، أو طبقة معينة أو عصر معين ، ـ ولابد لها من ذلك ـ فإن النظام الذى تدعو إليه هو نظام هذا الفرد ، أو هذه الأمة أو تلك الطبقة فى ذلك العصر ، وهذا فى حد ذاته كاف فى إبطال كونه نظاماً عالمياً إنسانياً .

وهذه العيوب الجوهرية يبرأ منها النظام الإسلامى براءة مطلقة .

لأن هذا النظام لاينتمى لفرد ولا لطبقة ولا لأمة ، وإنما هو ينتمى إلى الله الخالق للإنسان ، الرحيم بالإنسان العليم بالإنسان .

وإذن فهو لايحمل فى ثناياه عوامل نقضه وانهياره ، كما هو الشأن فى النظام العالمى المصنوع بإرادة مجلس الأمن ، أو مجموعة الدول ، أو مجموعة البنوك ، أو مجموعة المؤتمرات .

وقد يظن البعض أن عوامل التحيز والعنصرية الموجودة فى الغرب اليوم مجرد تراث يضمحل شيئاً فشيئاً ، وهو فى طريقه إلى الزوال .

والحق غير ذلك .

إنها خطة رسمية دولية ، تختفى وراء أقنعة أحياناً ولكنها تتكشف أحياناً أخرى لتظهر فى صورتها الصحيحة .

وعلى سبيل المثال نشرت مجلة الإيكونوميست البريطانية بتاريخ ١٩٩٢/٢/٧ نص مذكرة سرية للبنك الدولى تقترح أن يتولى البنك تشجيع تصدير الصناعات القذرة من الدول الصناعية المتقدمة إلى بلدان العالم النامى. وقالت المجلة إن لورنس سمرز كبير الخبراء الاقتصاديين فى البنك الدولى هو الذى أعد المذكرة وأنها أحدثت ضجة .

وقالت الإيكونوميست : إن سمرز ذكر فى مذكرتـه السرية مانصـه : (بينى وبينكم : أليس من الواجب على البنك الدولى أن يشجع على المزيد من هجرة الصناعات القذرة إلى الدول الأكثر فقراً ؟!

وأضافت المجلة إن سمرز قال فى مذكرته : إن أغلب مناطق أفريقيا على سبيل المثال أقل تلوثاً من لوس أنجلوس . ) [1]

وعلى صعيد آخر يذكر لنا ملحق جريدة الاتحاد بأبى ظبى الصادر فى ١٩٩٢/٢/٢٠ عن اليابانيين ، إنهم ( لايشيرون إلى أنفسهم أبداً على أنهم آسيويون ، لأن باقى أهل آسيا بالنسبة لهم هم أجناس أقل مرتبة ، والسماح لهم بالاستقرار فى اليابان والهجرة إليها لن يؤدى إلا إلى تشويه " النقاء العنصرى للجنس اليابانى " بدليل تلك المذكرة الداخلية التى تقول المراسلة إن جهاز الشرطة الوطنى فى طوكيو أصدرها مؤخراً لينبه فيها ضباط الأمن إلى أن بعض هؤلاء الآسيويين له " رائحة نفاذة متميزة " ولايتردد فى الكذب ، وتطلب المذكرة منهم أن يغسلوا أياديهم بعد احتجاز هؤلاء المشبوهين . )

## أهمية النظام العالمى :

إن الدعوة الذائعة اليوم إلى النظام العالمى تشير بحق إلى تيقظ الشوق الفطرى الإنسانى إلى العالمية .

الإنسانية ضاقت بظلام الدروب ، والتواءات الطرق ، وتطلعت إلى الطريق الشامل المستقيم .

هذا هو الجزء المضىء فى الدعوة إلى النظام العالمى ، أما الاستجابة لهذا الشوق فكيف تكون ؟ هذا هو السؤال .

هذا هو الجزء الذى تجيب عليه القوى الاستعمارية إجابة خاطئة .

لقد تيقظ الشوق ولابد من إرضائه ، ولكن إرضاء هذا الشوق إلى العالمية لن يكون إلا تحت نظام تتحقق له شروط العالمية التى ذكرناها .

---

(١) جريدة الأهرام ١٩٩٢/٢/٨ .

# الأصالة والمعاصرة

إن اهدار شخصية الإسلام ، وذاتيته ، وخصوصيته هو أعتى حركات تزييف الحقائق الإسلامية القائمة على قدم وساق فى عالم اليوم .

وهو أخطر الحركات المضادة للإسلام على الإطلاق .

وهو أخطر من كل مايجرى على السطح من معارك سياسية أو اقتصادية أو عسكرية .

وهى حركات ـ أو معارك ـ تستعمل فيها كل أساليب المناورة والخداع والكر والفر والمكاشفة والمسايرة ، وتكشير الأنياب ، أو لبس أقنعة الأحباب ... إلخ حسب الظروف والأحوال .

ومن أهم ميادين الكر والفر فى المواجهة الإسلامية المعاصرة موضوع : الأصالة والمعاصرة .

وسوف نتجه مباشرة إلى الكلام عن الأصالة والتراث والمعاصرة .

**الأصالة** : تعنى الرجوع إلى الأصل .

والأصل يعنى الانسان .

أو انسانية الانسان .

بفطرته التى فطره الله عليهاشطرها الضرورى " الطبيعى " .

كفطرة ربانية تقوم على جوانب متكاملة : جسدية وعقلية ، ووجدانية واجتماعية ، وكونية .

وشطرها الارادى التكليفى القائم على التسليم الاختيارى للخالق ، مقابل تسليم بقية المخلوقات تسليماً طبيعياً لخالقها سبحانه وتعالى .

**﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى .﴾**

والتسليم الاختيارى الارادى لله تعالى يعنى الدخول فى دينه وهو

الإسلام .

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾

والدخول فى دين الله يعنى الاستقامة على نهج الله وصراطه ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** . ﴾

والاستقامة على نهج الله تعنى التسليم لإرادته والخضوع لمقاصده سبحانه والعمل وفقاً لشريعته .

**المقصود بالأصالة** على هذا النحو إذن هو :

( إنسانية الإنسان = فطرته الطبيعية + فطرته الإرادية التسليمية التكليفية . )

إن الأصالة فى حياة الإنسان تعنى المستقر الثابت الممتد فى الماضى والحاضر والمستقبل .

والمستقر الثابت هنا إما أن يكون مستقراً ثابتاً بالضرورة ، وهذا هو الجزء الذى وضعه الله فينا عقلاً وجسداً وروحاً واتصالاً بالمجتمع واتصالاً بالكون .

فتسلم له ضرورة .

ثم هو الجزء الذى أراده الله منا فنسلم له اختياراً : ديناً وتشريعاً ، وخلافة فى الأرض .

**التراث :**

ومن هنا يمكننا أن نتصفح التراث لنميز فيه بين مايتفق مع الأصالة ومايتعارض معها .

هنا يمكننا أن نقول :

ليس كل مافى التراث أصالة .

إذ ليس من المعقول ـ بداهة ـ أن يكون كل مايلتقطه الإنسان فى

طريقه طوال الأحقاب والقرون إضافة للإنسان كإنسان : فطرة طبيعية وفطرة إرادية .

هناك الكثير جداً من التراث الذى لاينتسب إلى الأصالة بدرجة أو بدرجات .

إن التراث ليس إلا الحصيلة التاريخية لحركة الإنسان : مابين الأصالة والمعاصرة فى وقت من الأوقات .

وإذا أردنا مزيد توضيح لهذه النقطة فى مجال تراث الفكر الإسلامى فإننا نلقى نظرة سريعة على مسار هذا الفكر فى عصوره الأولى مابين الأصالة وماكان يسمى المعاصرة آنذاك .

فسوف نجد الخط البيانى الذى يبدأ بمجموعة الإيمان بالنص إلى أن ينتهى فى أقصى اليسار بمجموعة الإيمان بالفلسفة .

حيث نجد فى أقصى اليمين : القرآن والسنة ، لنرتب بعدهما موقع الصحابة والتابعين ، ثم أئمة الحديث ثم أئمة الفقه ، ليدخل المسار بعد ذلك مع علماء الكلام : أشاعرة ومعتزلة ، ثم مايسمى الفلاسفة المسلمون ، ثم زعماء الفلسفة اليونانية .

هذا كله موجود فى التراث الإسلامى .

فليس بوسعنا إذن القول بأن كل مافى التراث أصالة .

فليست نظرية وحدة الوجود أصالة .

وليست فلسفة إخوان الصفا أصالة .

وليست نظرية العقول العشرة أصالة .

وليس إدعاء الحلول الإلهى أصالة .

وليست شيوعية القرامطة أصالة .

وليست إباحية الحشاشين أصالة .

وإنما هو ماض ، يدرس لتعرف خباياه ومداخله ومخارجه لأهداف

مختلفة .

وكما أنه ليس كل مافى التراث أصالة ...

فكذلك ليس كل مافى الأصالة تراثاً .

فليس القرآن تراثاً .

وليس الوحى عموماً ( قرآناً وسنة ) تراثاً .

وإنما هو الأصل .

أصل حاضر ، حى .

وينبغى أن نتعامل معه على هذا الأساس .

فأين يأتى دور التراث إذن ؟

هنا نقول : دور التراث ... ، أو بعبارة أصح : دورنا نحن مع التراث..:

هو أن نأخذ منه وندع .

ومقياسنا فى هذا الأخذ والترك هو :

نأخذ منه كلما كان هذا الأخذ أقرب إلى الأصالة .

وأقدر على المعاصرة .

ونترك : كلما كان الأخذ أبعد عن الأصالة وأعجز عن المعاصرة .

**المعاصرة :**

وإذا عرفنا الأصالة والتراث على هذا النحو عرفنا معنى المعاصرة .

وعرفنا ماينبغى من المعاصرة التى تحافظ على الأصالة وتتمشى معها .

**معنى المعاصرة إذن :**

أن نعيش بأصالتنا مع عصرنا .

نعيش بأصالتنا لأنها نحن .

مع عصرنا : لأن العيش مع العصر ضرورة واقعة أولاً ، ورسالة واجبة ثانياً .

أما أنه واقع ، فلأنها ـ أى المعاصرة ـ واقع زمنى ، يتصف به كل البشر؛ إنه مثل السماء والأرض والشمس والقمر .. ، وهو ليس حكراً لأحد ، وليس استعماراً للزمن ، يحق لأحد .

إننا ـ واقعاً ـ لايمكننا أن نغلق الأبواب دون عصرنا .

فهو يقتحمنا ، ويجرفنا ، أردنا أم لم نرد .

التكنولوجيا ، الحروب النووية ، والفضائية ، الهندسة الوراثية ، ثورة الاتصال ... إلخ .

إنه يتحتم علينا أن نعيش " عصرنا " .

لكن بأى معنى .

هل نعيش " له " ..؟

أو نعيش " معه " .. ؟

أن نعيش " لعصرنا " يعنى أن نكون ملكا له ، نفقد ذواتنا ، ونفرغ أنفسنا من محتواها ، لنحشوها بكل مايأتى من جديد ، تنتجه " المنطقة الاستعمارية للعصر " .

فنفقد بذلك الأصالة من أول خطوة .

إن هذا منهج خاطىء

وهو فوق ذلك منهج فاشل .

لأن أصالتنا تعيش فى دمائنا .

وتنبض فى أدمغتنا ، وتنبع من فطرتنا ، يقول رسول الله ( إن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة ) .

أما أن نعيش مع عصرنا ، فإنه يعنى أن نفهمه ، وأن نشعر بهمومه ، وأن نستغل امكاناته لنعبره إلى المستقبل ، إلى مابعد العصر .

إن هذا العصر شيال متحرك نحو المستقبل ، وعلينا نحن أن نساهم فى وضع صورة مابعد العصر .

صورة المستقبل المفتوح .

نعبر " المنطقة الاستعمارية للعصر " تلك التى رفعت أعلامها الحضارة المعاصرة ، بعد أن استعمرت الجغرافيا والتاريخ ، أعلنت أنها استعمرت " العصر " .

وعلينا نحن أن نعيش مع هذا العصر لنعبره إلى مابعده .

ولعلنا بذلك نكون أكثر صلاحية لإبداع صورة المستقبل ، أكثر من أولئك المنغمسين فى أحضان العصر .

إن المعاصرة بالنسبة لنا - إذا أردنا الاحتفاظ بالأصالة - لاتعنى العيش للعصر .

وإنما العيش معه ، أو بعبارة أدق : فى موقع قيادته .

من أجل تقديم المساهمة الإيجابية المبدعة لتغييره .

ولايكون ذلك إذا أفرغنا ذواتنا وحشوناها بمحتويات العصر .

وإنما يكون إذا احتفظنا بذواتنا ، وجعلنا من أصالتنا : إيماناً ، وعلماً وعملاً ، أدوات نعالج بها العصر من أجل المستقبل .

إنه لايصح أن نخسر العصر ، تماماً ، كما أنه لايصح أن نخسر الأصالة .

ذلك أننا إذا خسرنا العصر خسرنا الأصالة ، وإذا خسرنا الأصالة خسرنا العصر أيضا .

إن المعاصرة رسالة الأصالة .

إن التقوقع والجمود والهروب من العصر خيانة لرسالة الأصالة فينا .

إن الأصالة بشقيها : الطبيعى والاختيارى .. تدعونا إلى الامساك بناصية العصر .

إذا خسرنا العصر خسرنا الأصالة ، لأن الأصالة تدعونا إلى إعادة تشكيل العصر ، من أجل إعادة تشكيل المستقبل .

ومن الناحية الأخرى : فإننا إذا خسرنا الأصالة خسرنا العصر أيضاً، لأننا عندما نخسر الأصالة نخسر أنفسنا ، ومن خسر نفسه فإنه لايملك شيئاً .

وعلى أساس ماتقدم فإنه يمكننا أن نقول :

ليست الأصالة مناورة لفظية ، أو مراوغة فكرية ، أو بعثا للأموات ، أو إقامة للمهرجانات ، أو تفتيشا عن خامل الثقافات .. أو استعراضاً لألوان الفولكلور ، أو تخشعاً أمام قبور الفراعنة ، أو انتشاء بأعياد النيروز ، أو تغزلاً بمكارم قحطان ، أو تعصباً لما يسمى التراث ...

كلا :

إنما الأصالة بكلمة بسيطة : هى الاستقامة على فطرة الله ، طبيعة فينا ، وديانة منزلة علينا .

كذلك فإن المعاصرة ليست هى : القبعة ، أو الجينز ، أو الفيديو ، أو الرطانة بلغات العالم المتحضر ، أو اقتناء للوحة لفان جوخ ، أو الرقص فى أعياد الميلاد ، أو تبادل الكؤوس ومخاصرة النساء فى الحفلات ..

ولكن المعاصرة هى : تحرير العصر من الأسر ، وحث الخطى نحو المستقبل إلى عصر جديد ، نخط فيه سورة العصر على أعلام الأمم ، أو هيئة الأمم إن شئت ...

**﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ﴾** .

يقول رسول الله : ( مامن مولود إلايولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . ) رواه البخارى ومسلم .

**﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم . ﴾** ٣١ الروم .

# الذاتية .. ودماء مسفوحة

لكى نتعرف على ذاتية الحضارة ـ فيما ينبغى أن يكون ـ وطبقاً للمنهج الإسلامى ، يجب أن نقرر مبدئياً أن الإسلام " نسق " .

والنسق لايقبل التفكيك .

تماماً كما هو الحال فى أى كيان عضوى متكامل .

كنظام الذرة .

والخلية .

وجسم الحيوان .

والفلك .

وإذا قبلنا تفكيك نسق ما فإن هذا يعنى أننا قبلنا تدميره يقيناً ، ولحساب غيره احتمالاً .

الأنساق لاتفكك ، وإذا فككت دمّرت .

وإن كثيراً من المفكرين الإسلاميين ـ وفى هذا القرن العشرين بالذات ـ ليقومون بدور تفكيك الإسلام [1] : ظناً منهم أن يعودوا إلى تركيبه بعد ذلك تركيباً عصرياً (!!) .

فيأخذون منه " إفراد الله بالعبودية " ليروجوا لـ " الليبرالية " . : مع أن إفراد الله بالعبودية جزء من النسق الإسلامى العام ، و " الليبرالية " جزء من النسق العلمانى العام ؛ فهيهات .

ويأخذون منه تكريم الله " للإنسان " عبدا لله ، ليروجوا لحقوق الإنسان .

: تكريم الله للإنسان العابد جزء من النسق الإسلامى .

وحقوق الإنسان جزء من النسق العلمانى الذى تقوم عليه هيئة الأمم " العصرية " .

---

(١) هؤلاء أهون حالاً ممن يعومون الإسلام إلى سطحية الالتقاء مع غيره فى صياغات شديدة العمومية لاتختص بدين .

ويأخذون منه رعاية الاسلام للفقراء ليروجوا للاشتراكية.

: رعاية الفقراء جزء من النسق الاسلامى.

وإفقار الأغنياء جزء من النسق الشيوعى .

ويأخذون منه شرعية " البيع "و " الربح" ليروجوا للربا .

: الربح جزء من النسق الإسلامى فى الاقتصاد .

والربا جزء من النسق العلمانى .

وهكذا ....

قالوا : تلك الحضارة ( المسيحية اليهودية الإلحادية !! ) :

هى العلم ، والإسلام دين العلم ، وتغافلوا عن وضعية العلم فى البناء الإسلامى ، وهى وضعية الأداة التنفيذية ، لا الفيلسوف ، ولا المشرع ، ولا المنظّر ، ولا المقيّم للأشياء .

قالوا : هى العقل والإسلام دين العقل ، وتغافلوا عن وضعية العقل فى الإسلام ، وهى وضعية المخلوق الساجد لأمر الله .

قالوا : هى القوة والإسلام دين القوة ، وتغافلوا عن وضعية القوة فى البناء الإسلامى ، وأنها مطلقة فى جانب الله ، مقهورة بشرع الله فى جانب المخلوق .

وهكذا ...

قالوا : هى الغنى والرفاهية والجمال ، والإسلام دين الغنى والزينة والجمال ..

صنعوا لنا ملامح القربى والتشابه مع الغرب ليمحقوا تميز الإسلام وليسحقوا ذاتيته ، ولتظل القبلة الحضارية هناك .

صنعوا للحضارة الإسلامية ملامح القرب والتشابه وأعلنوها بغير خصوصية لتتزلق فى مزالق التبعية .

روح هذه الحضارة ، وروح عصر هذه الحضارة نعثر عليه فى الدنيوية أو العلمانية .

نعثر عليه فى الصراعية أو التطورية .

نعثر عليه فى الأصولية المسيحية والأصولية اليهودية .

نعثر عليه فى التخليط بين هذا كله مع الإلحادية .

نعثر عليه فى مسحة السفسطة اليونانية القديمة ، التى حاصرها الفكر الإسلامى فى سجن " العندية " ثم انبعثت على يد شياطين الفلسفة المعاصرة فى مذاهب " الصيرورة " و " النسبية " و " التاريخية " ..

ليست تلك إذن هى حضارة العصر أو حضارة العلم .

كذب وتزييف .

تزييف لهذه الحضارة يراد به بعد ذلك تزييف للإسلام ، فلا يعود الإسلام بذاته ، أو بشخصيته .

فلا يعود الإسلام غريباً .

ولايعود الإسلام إسلاماً .

ولايعود الإسلام .

ولاتظهر ذاتية الإسلام بالتفكيك .

إنما تظهر بإدراك خصوصيته التركيبية .

وهى تظهر فى النظر إلى قضاياه الأساسية مقارنة بنظرة الغرب إليها.

ففى العلاقة بالله نجد المحور فى الإسلام هو إسلام الوجه لله ، وفى الغرب نجد أرقى شكل من أشكال النفاق الفكرى : إذ يعلن الحياد ازاء المسألة. !

وفى العلاقة بالزمن نجد المحور فى الإسلام هو الأخروية .

وفى الغرب نجد المحور هو الدنيوية .

وفى العلاقة بالتاريخ نجد المحور فى الإسلام هو التوازن وفى الغرب نجد المحور هو الصراع حتى الابادة .

وفى العلاقة بالبيئة نجد المحور فى الإسلام هو فى الاستفادة بها مسخرة من الله مكفولة بشريعته . وفى الغرب نجد المحور هو المغالبة حتى وهم السيطرة .

وفى العمل من أجل الترقى نجد المحور فى الإسلام هو الجهاد فى سبيل الله ، بينما نجد المحور فى الغرب هو دعوى جبرية التقدم .

وفى قضية الحقوق نجد المحور فى الإسلام يدور حول حقوق الله المنعم بحقوق الإنسان ، بينما نجد المحور فى الغرب هو حقوق الإنسان المنتهبة بأيدى قوانين البقاء .

وفى قضية الضعفاء نجد المحور فى الإسلام هو النصرة من الله بواسطة الضعفاء ﴿ ... **فإنما تنصرون بضعفائكم** . ﴾

بينما نجد المحور فى الغرب هو النصرة على الضعفاء بواسطة السوبرمان .

وفى قضية التشريع نجد المفارقة التى لاتستبين إلا بالتسليم لله ـ الذى هو أساس الإسلام ـ هذا التسليم الذى لايكون إلا بتطبيق الشريعة تطبيقاً كاملاً قد يعذر فيه تقصير المستضعفين ولايعذر فيه إنكار الجاحدين .

الشريعة : أهدافاً ، وأحكاماً ، عامة ، وجزئية .

وإن يكن مع النزول على أحكام الواقع فى التدرج والانتقال والتيسير.

مع الأخذ بوسائل التنفيذ الحديثة المتجددة .

وقد يتغيهق بعضهم فيقول :

إن الوسائل الحديثة تجر معها قيما خاصة بها .

ونقول : نعم ، لكن فى التشريع الإسلامى العلاج لذلك .

إذ نأخذ من هذه الوسائل تحت قواعد التشريع الإسلامى :

طمسوا ملامح الخصوصية ، فأفقدوا الأمة شرط النصر من الله الذى إنما يأتى لمن ينصرون الله ..

طمسوا ملامح الغربة ، فأفقدوا الأمة شرط عودتهم إلى الإسلام ، أو عودة الإسلام إليهم " بدأ الإسلام غريباً ويعود غريباً كما بدا " حديث صحيح .

أسقطوا الخصوصية ، فأسقطوا الملامح ، فأسقطوا الشخصية وأهدروا الذاتية .

لمصلحة من ؟

المعاصرة كما يقولون !!

وأولى بهم أن يسموها اعتصاراً .

التجديد كما يظنون ، وأولى بهم أن يسموه التبديد .

إن الذى يقوم به هؤلاء المفكرون لن يعود على الإسلام بالمعاصرة .

وإنما يعود عليه بالتفكيك والتبديد .

إن للإسلام شخصيته الحضارية .

والشخصية كائن عضوى يؤخذ ككل .

أو على الأقل تجرى المحاولة فى هذا الأخذ على هذا الأساس .

التفكيك قد لايضر بالمادة أو بالجماد .

قطعة الحجر عندما تقسم إلى عشرة قطع فإن كل قطعة منها تظل منتسبة بالفعل إلى " الحجر " ، ولاتصبح شيئاً آخر .

أما الشخصية ـ ككائن عضوى ـ فإنها إذا فككت لاتصبح هى هى ..

وكذلك لاتصبح هى هى إذا أعيد تركيبها وفقا لمنظومة أخرى .

إن فقدان الخصوصية الشخصية ليس بعثاً ولكنه اقتبار .

لايبعث الإسلام وهو أشلاء مختلطة بالمسيحية ، أو باليهودية ، بالاشتراكية أو الشيوعية ، بالرأسمالية أو الربوية ، بالديموقراطية أو الليبرالية بالدكتاتورية أو الأتوقراطية ، أو الثيوقراطية ، بالتقدمية أو التطورية أو

الرجعية ، بالوسطية أو الثورية ، بالراديكالية أو الأصولية ، بالعقلانية أو العلمانية أو العلموية ، بالقومية أو الماركسية أو البعثية ، بالعصرنة أو الإنسانية ، أو عالم القرية الواحدة المحكوم بمجلس الأمن .

لقد ذهب - أو يجب أن يذهب - إلى مزبلة التراث القريب :

قول أحدهم : ( علينا أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة : خيرها وحلوها ومرها ، ومايحب منها ومايكره ، ومايحمد منها ومايعاب . ) [1]

لقد ذهبت - أو يجب أن تذهب - إلى مزبلة الحاضر القريب بلايين الكلمات التى كتبها الاتباعيون للحضارة ( المسيحية اليهودية الالحادية ) يروجون بها لها ، ليجعلوها هى القبلة ، بزعم أنها هى العصر ، وأنها هى العلم .

ولقد كذبوا ، فهذه الحضارة ليست هى العصر ، وإنما هى المستبد بالعصر ، وهذه نزعة إلى استعمار الزمان ، بعد استعمار المكان ، نزعة إلى استعمار التاريخ بعد استعمار الجغرافيا .

أما العصر الحقيقى فهو عصر الله الذى أقسم به ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .** ﴾

وهذه الحضارة ليست هى العلم ، وإنما هى المحتكر للعلم ، باسم القوة.

العلم والعلم التجريبى نفسه منهج بشرى قديم .

وللإسلام فيه دور رائد أصيل .

وهو مع ذلك ليس روح هذه الحضارة ، ولاروح عصر هذه الحضارة.

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر لطه حسين ص ٤١ .

الضرر يزال ـ ارتكاب أخف الضررين ـ سد الذرائع ـ رد المفاسد مقدم على جلب المصالح بعد حساب الموازنة بينهما .. إلخ .

نعم لقد درج الفكر ـ فى المجال الإسلامى ـ المعاصر على اصطياد جهات التشابه بين الإسلام وبين غيره من الأديان والمذاهب والأنظمة ، وجرى التركيز على ذلك ، حتى كدنا نرى كل دين أو مذهب أو نظام ـ قائماً بذاته هناك ، يعلن تفرده وكينونته وشخصانيته ماعدا الإسلام .

فككنا الإسلام .

قلنا : فى الفلسفة اليونانية " العقل " وفى الإسلام " العقل " ، ثم أخذنا بالفلسفة اليونانية .

: فى الفلسفة المعاصرة " العلم " وفى الإسلام " العلم " ثم أخذنا بالعلموية .

: فى الفلسفة " النيتشوية " " القوة ، وفى الإسلام " القوة " ، ثم أخذنا بالنيتشوية .

: فى النظام العلمانى " الدنيوية " وفى الإسلام " الدنيوية " ثم أخذنا بالعلمانية .

: فى النزعة الحضارية " المتعة " وفى الإسلام " المتعة " ثم أخذنا بالمتعوية .

: فى اليهودية " التوحيد " وفى الإسلام " التوحيد " وفتحنا الباب لليهودية .

: فى المسيحية " المحبة " وفى الإسلام " المحبة والرحمة " وفتحنا الباب للتنصير .

: فى الصوفية الهندية " النرفانا " وفى الإسلام " ابن عربى " وفتحنا الباب للنرفانا ..... وهكذا .

صار الإسلام مزقا وأشلاء ...

وفى ركام المزق والأشلاء تضيع الشخصية كما يضيع الوجود .

إذا كان " س " من الناس له أنف ففى كل واحد من الناس أنف .

وإذا كان له " أمعاء " فلكل حيوان أمعاء ...

أين " س " إذن ؟

من هو " س " ؟

مزقناه .

قتلناه .

إذن فنحن أمام جريمة .

* * *

وأسلوب ثان فى محاولات محو الذاتية : ذلكم هو الذى اتبعه المستشرقون منذ وقت غير قصير ، وتابعناهم فيه إلى حد كبير . وهو أن تمزق حقائق الإسلام وتوزع على أكياس " جانبية " يسهل التخلى عنها ، فهذا كيس " الصوفية " توضع فيه " المحبة " .

وهذا كيس " السلفية " يوضع فيه " الاتباع " .

وهذا كيس " المعتزلة " يوضع فيه " التنزيه " .

وهذا كيس " المعاصرة " يوضع فيه " العقل أو العلم " .

وهذا كيس " الأصولية " يوضع فيه " الالتزام " .

فإذا بما هو " الإسلام " أصبح " لاشىء " ، وعندئذ تتصدى العلمانية لملئه فتصبح العلمانية إسلاماً أو الإسلام علمانية .

ذلكم هو أسلوب التوزيع لميراث الإسلام !!

***

أما الأسلوب الثالث فهو مارسمته المنطقية الوضعية أو المذهب التحليلى من منهج دقيق فى التعامل مع الإسلام ، وهو أن تؤخذ العناوين من تراث الحضارة الإسلامية وتفرغ من مضمونها الإسلامى ، وتحقن بمضامين جديدة واقعية وكما يقول أستاذ الوضعية المنطقية ( أن نملأ الصور المفرغة

لتلك المبادئ بمضمونات جديدة ) وعلى هذا الأساس يعاد تفسير مفاهيم الإسلام وعقائده ، فيكون " الله " جل جلاله ماذا؟ صفات ، وتكون الصفات ماذا؟ " العلم " مثلاً ؛ وهات " العلم " افرغه من مضمونه القديم واملأه بالمضمون الحديث ، فيصبح هو " العلم التجريبى " [1] .. و " يادار مادخلك شر " . وهكذا ....

وتحول القضية برمتها إلى باطنية عصرية ، أو إلى وجهة نظر لغوية!!!

هذه هى أساليب العصر الثلاثة :

التفكيك بحثاً عن التشابه .

والتوزيع من أجل التمزيق .

والتفريغ من أجل التزييف .

هذه هى أساليب العصر فى تدمير الذاتية الإسلامية ... وهكذا ترتكب الجريمة الكبرى !

والمسلم فى " مستقر " الذاتية " ليس أمامه إلا أن يرفض هذه الأساليب جميعاً ويلزم بيته الذى هو : " الإسلام " .

الإسلام هو " مايميزه " .

وهو فيما يميزه ليس تلك الشطائر أو المزق أو " العرائس " التى تقدم من هذا الجانب أو ذاك .

المسلم يرفض الانسياق إلى تناول الإسلام من خلال رؤية يونانية ، أو لاتينية ، أو ماركسية أو براجماتية ، أو تاريخية ..

المسلم يرفض الانسياق إلى تناول " عرائس " كاذبة مغشوشة تقدم إليه بعناوين من تراث قديم ..

---

(١) انظر تجديد الفكر العربى للدكتور زكى نجيب محمود .

المسلم يرفض الانسياق إلى مسارب التيه بتسمية ماهو من الإسلام بأسماء الفرق والمذاهب ..

الإسلام هو كلمة " الإسلام " لفظاً ومعنى .

ومايميزه هو معنى كلمته .

" إسلام الوجه لله " وسيطرة الآخرة على تصرفاته تحقيقاً لهذا " الاسلام" .

***

إن الابقاء على الذاتية إنما يكون بإبراز نقاط المفارقة والاختلاف : تلك بديهية لايمكن أن تكون محل خلاف وإن غابت عنا طويلاً .

ففي الحضارة الغربية سيطرة الدنيوية ، أما في الذاتية الإسلامية فسيطرة الأخروية .

في الحضارة الغربية التسليم " للإنسان " أما في الذاتية الإسلامية فالتسليم " لله " .

ذلكم جوهر الذاتية الذي في ضوئه يعاد النظر في كل مايبدو من مظاهر التشابه بين الإسلام وبين الحضارة الغربية فإذا لكل شيء من هذا التشابه معنى مختلف .

ولايعني هذا رفض الحضارة الغربية جملة ، إذ مع كون ذلك انعزالاً قاتلاً وانتحاراً جماعياً ، فإن فيه افتئاتاً على الله : لأنه لاتخلو هذه الحضارة من خير فيكون نكران هذا الخير نكراناً لنعم الله ، وحرماناً من فضله .

وإذا كان لابد من الانتقاء واختيار مايصلح فإن السؤال يظل قائماً : مامقياس ذلك ، مامقياس مايصلح ومالايصلح ؟ " لنا " ؟

ذهب بعض الكاتبين إلى " أخذ التكنولوجيا " كما هي ، وانتقاء بعض القيم النافعة .

وهو رأي خطير يحتاج إلى مراجعة وتمحيص .

لابد من مقياس .

والمقياس هو فى قلعة الذاتية الإسلامية القائمة على التسليم لله ، والسيادة للآخرة .

عندئذ لابد من أن نعلن رفض استيراد مايأتى من تلك الحضارة فى باب القيم ، والأهداف ، والأحكام التشريعية العليا لأنها جميعاً جاءت تحت "سيطرة الدنيوية " .

ثم نعلن الأخذ بما عندهم من " الوسائل " التى يمكن أن نستخدمها لقيمنا وأهدافنا وشريعتنا أو بعبارة أشمل وأدق لتأكيد ذاتنا .

حتى التكنولوجيا لابد فيها من المراجعة [1] .

على أن يتم ذلك على أسس من أصول شريعتنا :

فى تحقيق المصلحة " من المنظور الإسلامى " وسد الذريعة " من المنظور الإسلامى " وارتكاب أخف الضررين " من المنظور الإسلامى " أيضاً .

***

وماعدا ذلك فمصيره الفشل المؤكد .

ذلك أن ضمائر ذواتنا ممغنطة بما لايتفق مع أقطاب هذه الحضارة الغربية .

إن المغناطيس الذى صنعت به الذاتية الإسلامية تكون أقطابه من : جبريل ، ومحمد ، والقرآن ..

فكيف ينجح فى داخله مغناطيس معاد :

تكونت أقطابه من وليم جيمس ، والقديس بولس ، وكارل ماركس ؟!

كيف ينجح مجال مغناطيسى كهذا معاد لمغناطيس عقيدة الملك الذى هو بيد الله ، ومغناطيس الملكوت الذى هو بيد الله كذلك ؟

---

(١) يجب أن ننظر بحذر وتشكك إلى الآراء المتداولة عن نقل الأعضاء والهندسة الوراثية ، والسيطرة على البيئة .. إلخ .

﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ﴾ تبارك ١ .

﴿ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون ﴾ ٨٣ يونس .

﴿ أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير . ﴾ ١٨-١٧ تبارك .

فيا أيها البشر :

ادخلوا مساكنكم .

﴿ قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون ﴾ .

ملك الله ... ونحن !

ملك سليمان والنمل !

فى قوانين ملك الله أين الصراط المستقيم ؟

فى قوانين ملك سليمان أين الأمان ؟

ادخلوا مساكنكم .

تلكم هى الذاتية الإسلامية :

وكل طرح عدا ذلك فإنما يحسب فى عمليات التزييف القائمة على قدم وساق .

ولايتوهم واهم أننا ونحن نتحدث عن ذاتية النسق الإسلامى نعنى حصيلة التراث الى تكونت عبر القرون .

كلا .

فما هكذا يكون موقف الإسلام من تراث أمة وشعب ، وهو أصلاً صاحب الموقف الفاحص الناقد الرافض لمنطق " إنا وجدنا آباءنا على أمة ."

ولكن الذاتية الإسلامية تعنى ماهو إسلام خالص ، نطق به " الوحى ": قرآنا ، وسنة .

وتراثا بمقدار اقترابه من القرآن والسنة .

إن هذه الذاتية تتلخص فى :

**الإسلامية** : إسلام الذات لله .

**الإلهيـــة** : خضوع الذات لله .

**الأخروية** : ربط الدنيا بمصالح الآخرة .

## معركة " الذاتية " :

صميم المعركة الدائرة الآن بين مقومات الحضارة الإسلامية وأعدائها هى معركة الاعتصام بالذات .

وهى معركة ثقافية .

صميم المعركـة الدائـرة الآن هـو فـى الدائـرة الأولـى لصنـع الإنسـان المسلم .

لقد تهاوت بالفعل دوائر خارجية تم صناعتها وتهاويها تاريخياً ، دائرة بعد الأخرى .

تهاوت دائرة الدعوة بالجهاد .

وتهاوت دائرة الدولة الإسلامية .

وتهاوت دائرة التشريع .

وبقى قلب البناء : الدائرة الثقافية الذاتية .

تلك الدائرة التى توشك أن تنهار .

ولكنها توشك بعد ذلك أن تعود ( بدأ الإسـلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء . )

ولقد أنبأنـا الرسـول ﷺ بمراحـل المعركـة ، مـن قبـل . إذ قـال (توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟

قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قيل : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت . ) أخرجه أبو داود.

وحب الدنيا وكراهية الموت ، هو من الأمراض التى أصيبت بها الذاتية الإسلامية المبنية أصلاً على الأخروية .

وفضلاً عما فى الحديث من معان وعظات فإن فيه من النبوءة مايدل على نبوته ﷺ وصدقه فى التلقى من عالم الغيب ..

إذ من كان فى تصوره يومذاك أن ينظر إلى جماعة المسلمين باعتبارها هدفاً من أهداف ( الأمم ... ) ؟ تحرص الأمم على إبادته ، بعد أن كانت تمتلىء خوفاً من مهابته ؟

وهنا ونحن نتحدث عن " الأكلة " لايملك الباحث إلا أن يسجل دور إسرائيل بينها .

حيث تظهر إسرائيل - بوضوح - بين هذه الأكلة وماهى إلا اللعاب الذى يسيل من فم الغرب المتلمظ شوقاً إلى بقايا القصعة ...

وقد أشار الله تعالى إلى هذا اللعاب فى قوله تعالى :

**﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل . ﴾** ٥٥ - ٦٠ المائدة .

أزيحوا هذه الأكلة أولاً .

إذا لم يمكنكم أن تزيحوها من مراكزها العسكرية والاستراتيجية فأزيحوها من اقتصادكم .

إذا لم يمكنكم أن تزيحوها من اقتصادكم فأزيحوها من تعليمكم .

إذا لم يمكنكم أن تزيحوها من تعليمكم فأزيحوها من إعلامكم .

إذا لم يمكنكم أن تزيحوها من إعلامكم فأزيحوها من عقولكم .

إذا لم يمكنكم أن تزيحوها من عقولكم فأزيحوها من قلوبكم .

وذلك أضعف الإيمان .

أما أن تحل الأكلة فى ذلك كله وبرضا منا وحب وابتهال فى ذلك كله فنحن - إذن - دعاة الأكلة إلى القصعة .

فهل نرضى أن نكون نحن دعاة " الاستعمار " ودعاة " الصهيونية " لأننا - فى الجوهر - دعاة أن تظل لهذه " الحضارة المسيحية اليهودية الإلحادية "مكانة القبلة الحضارية فى حياتنا . ؟!!

وتاريخنا الإسلامى حافل بأمثلة التداعى إلى القصعة ، كما أن حاضرنا صارخ بمعاركها ، ولكننا نحن الذين بأيدينا نجرى لأنفسنا غسيل المخ ، بحيث لاتتذكر التاريخ ، ولاترى الحاضر .

يكفى أن نذكر ماحدث فى الحروب الصليبية .

## دماء مسفوحة فى قدس الذاتية :

يقول المؤرخ الأوربى " ميشو " فى كتابه تاريخ الحروب الصليبية : أن الصليبيين لما جاءوا إلى المعرة بالشام قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين ، اللاجئين إلى الجوامع ، المختبئين فى السراديب ، وأهلكوا صبرا مايزيد على مائة ألف إنسان فى أكثر الروايات .

قال ميشو : تعصّب الصليبيون فى القدس أنواع التعصب الأعمى الذى لم يسبق له نظير حتى شكا من ذلك المنصفون من مؤرخيهم فكانوا يُكرهون العرب على إلقاء أنفسهم من أعالى البروج والبيوت ، ويجعلونهم طعاماً للنار ، ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض ويجرونهم فى الساحات ويقتلونهم فوق جثث الآدميين . ودام الذبح فى المسلمين أسبوعاً حتى قتلوا منهم ماتفق على روايته مؤرخو الشرق والغرب سبعين ألف نسمة ، ولم ينج اليهود - كالعرب - من الذبح فوضع الصليبيون النار فى المذبح الذى لجأوا إليه وأهلكوهم كلهم بالنار . ) [1]

فما هى الصورة المقابلة لهذه الهمجية ؟

---

(١) انظر " الإسلام والحضارة العربية " لمحمد كرد على ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

ماالذى كانت تمليه الذاتية الإسلامية على صلاح الدين عندما استرجع القدس .

( كان فى القدس لما استرجعها صلاح الدين عام ٥٨٣ هـ من الصليبيين مائة ألف .

منهم ستون ألف راجل وفارس .

سوى من تبعهم من النساء والأطفال .

فأبقى صلاح الدين على حياتهم ، واستوصى بهم خيراً واكتفى بأن ضرب على كل رجل منهم عشرة دنانير وعلى كل امرأة خمسة ، وعلى كل طفل دينارين [١] ورخص للبطريرك الأكبر أن يسير آمناً بأموال البيع ، وذخائر الجوامع التى كان غنمها الصليبيون فى فتوحهم !! ) .

تلك فى ميزان الذاتية أمة الكذب والنفاق ، وهذه أمة الصدق والهداية.

وماذا حدث للموريسكيين [٢] من سحق للذاتية الثقافية فضلاً عما تم فيهم من سحق عسكرى وسياسى واجتماعى :

١ - ( يحظر على الموريسكيين استخدام الملابس العربية التقليدية [٣] ، ويرغمون على ارتداء الملابس على النمط الأسبانى ، ويمنع أى خياط يخيط الملابس المحظورة ، فإن فعل عوقب بأشد العقاب ، كما يمنع الموريسكيون من ارتداء الملابس الحريرية والملابس الفاخرة . )

هكذا جاء فى المرسوم الذى أصدرته الملكة جوليانا ( ١٤٧٩ ــ ١٥٥٥م) .

وأمهلهم المرسوم ست سنوات ، وبعدئذ مدت المهلة إلى عشر سنوات ، وفرض مرسوم آخر أن تلبس كل طبقة اجتماعية ملابس متميزة خاصة

---

(١) يتحدثون عن الجزية فليتهم فى الغرب قبلوا منا الجزية بدلا من الابادة .

(٢) هم المسلمون الذين تنصروا فى عملية تصفية الإسلام فى الأندلس . !!

(٣) تذكر معركة الحجاب فى فرنسا وغيرها .

بها ثم أعطيت النساء مهلة سنتين حتى يتخلصن من استخدام الملحفة وغطاء الوجه [1] .

٢ - مرسوم خاص بالذبائح :

يمنع الموريسكيون من ذبح الحيوانات على الطريقة الإسلامية ، ويفرض أن يذبحها جزار مسيحى من أصل أسبانى قديم ، ويجب أن تحمل إلى المسلخ .

يستثنى من ذلك صيد الجمال والدواجن ، فكان يجوز ذبحها فى البيوت حتى ألغى ذلك الاستثناء بقرار فى التاسع والعشرين من شهر تموز عام ١٥١٣ م .

٣ - مرسوم خاص بالزواج :

يلزم الموريسكيون بالزواج على الطريقة المسيحية . كما يجب على كل منصر ، أن يتزوج نصرانية أصلاً ، ويفرض على كل موريسكية منصرة أن تتزوج من نصرانى أصلاً ويرغم الموريسكيون فى كل حالة أن يكون الاشبين من المسيحيين القدماء ، ولايجوز أن يكون من الموريسكيين ولا من اليهود الذين تم تعميدهم حديثاً .

٤ - مرسوم خاص بالزيارات :

يرغم الموريسكيون المقيمون خارج غرناطة الذين نصروا قسراً ، على عدم زيارة الموريسكيين المقيمين فى مملكة غرناطة ، خشية أن يتآمروا معهم ، فيشعلوا الثورات بتقويتهم ، وتأثرهم ، وتحالفهم معاً ، ويهدد من لايتقيد بذلك بأقصى العقوبات من مصادرة الممتلكات والموت حرقاً ، ويسمح لموريسكيى مملكة غرناطة الذين كانوا خارجها حين صدور هذا القرار ، بالعودة إلى بيوتهم فى غرناطة .

---

(١) انظر " النسب الشريف " الذى تنتسب إليه حركة مهاجمة الزى الإسلامى أو الحجاب فى عصرنا الحاضر .

٥ - **مرسوم خاص ببيع العقارات غير المنقولة :**

لايجوز لأى موريسكى بيع ممتلكاته لأى موريسكى آخر ، إلا بعد أن تمنحه السلطات إذناً ، علماً بأنها لم تكن تمنح هذا الإذن ، إلا بعد تأكدها من إخلاص المشترى الجديد للكاثوليكية ، وخلال الاستئذان ، يجب على الموريسكى ذكر السبب الذى يجعل بيع الممتلكات بالنسبة إليه ضرورة ، ومن خالف ذلك فباع بدون إذن السلطان عوقب بالعقوبات السابقة الذكر ، ثم منع الموريسكيون من بيع ممتلكاتهم البتة سواء كان ذلك البيع لموريسكى أو نصرانى ، خشية أن يأخذوا قيمة ممتلكاتهم ، فيفروا بها إلى شمال أفريقيا ، ويشتركوا بعد ذلك بالأعمال التى كانت مصدر إزعاج لأسبانيا ، كما فعل الكثيرون من قبل ، ومن خالف هذه القرارات يعاقب بأشد العقوبات .

٦ - **مرسوم خاص بمنع الكتب العربية :**

يجب على كل موريسكى - تم تصييره قسراً - أن يسلم كل مافى حوزته من كتب باللغة العربية ، سواء أكان مقيماً فى غرناطة ، أم فى القرى والأماكن التابعة لها ويتم تسليم الكتب والمخطوطات كافة ، إلى السلطات المسؤولة فى مدة لاتتجاوز خمسين يوماً من تاريخ صدور هذا القرار ، وبعد تسليمها ، يفحصها مختصون لمعرفة فحواها ثم يحرق منها كل ماكان له أدنى تعلق بالدين الإسلامى ، سواء فى الفقه أو فى العقيدة على رؤوس الأشهاد ، وبعدئذ ترد الكتب المتعلقة بالفلسفة والطب والعلوم الأخرى - بعد ترخيصها - إلى أصحابها ، ومن ثبت أنه يقتنى أى كتاب أو مخطوطة بعد العشرين من شهر حزيران عام ١٥١١م تصادر كل ممتلكاته ، علماً بأن السلطات لم تكن تعيد أى كتب أو مخطوطات : ذلك أن حملة محاكم التفتيش ، لم تكن تقتصر على الدين الإسلامى ، بل تعدته إلى اللغة العربية ، كما تبين فى المراسيم التى صدرت فى عهد الملك فيليب الثانى ، وفى المراسيم التى صدرت

سابقاً ، فى عهد ألملكين الكاثوليكيين ، كذلك كانت الحملة على كل مايرتبط بالعرب من عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية .

٧ - **مرسوم خاص بمنع الأسلحة :**

يسمح لنصارى مالقة بأن يحملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم ، وحماية لممتلكاتهم من اعتداءات الموريسكيين ، وصوناً للمدينة من تلك الاعتداءات المتكررة ، بينما يمنع الموريسكيون من حمل أية أسلحة ، أو استخدامها إلا باذن من السلطات العليا المسؤولة ، أما إذا حمل أى موريسكى السلاح بدون ذلك الإذن المشار إليه سابقاً ، فيقصى عن البلاد إلى الأبد ، وتصادر ممتلكاته ، فإن ثبت أنه قد اقترف تلك الجريمة مرة سابقة ، ففى المرة الثانية يحكم عليه بالموت ، إذا ضبط متلبساً بتلك الجريمة .

٨ - **مرسوم خاص بالإرث :**

يمنع المنصّرون قسرا من الموريسكيين من تقسيم ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة وتركاتهم على الطريقة الإسلامية ، ويرغمون على تقسيمها طبقا للأعراف المستعملة لدى الأسبان ، ومن خالف ذلك ، عرض نفسه للعقوبات الصارمة .

٩ - **مرسوم خاص بالتعاون مع مسلمى شمال أفريقيا :**

كل موريسكى يتبين أنه حمى ، أو آزر ، أو تعامل مع المسلمين المهاجمين لشواطء مملكة غرناطة الذين يحدثون أضراراً ، من قتل ونهب وسرعة وازعاج ، لاتقل عقوبته عن الموت المؤكد .

١٠- **مرسوم خاص بالهاربين من مملكة غرناطة :**

كل موريسكى يهرب من مملكة غرناطة ، يحرم من ممتلكاته منها ، فإن عاد إليها ، قبض عليه ، وبيع بيع العبيد بالمزايدة .

١١- مرسوم خاص بممارسة الشعائر الإسلامية والملتحقين بالثوار :

إذا تبين أن موريسكياً منصراً مارس بعض الشعائر الإسلامية ، فيجب على السلطات والنبلاء أن تصدر بحقه أشد العقوبات التى تصل إلى مصادرة الممتلكات ، وكذلك إذا التحق بالثوار المعتصمين فى رؤوس الجبال .

على هذا النحو مضت السياسة الأسبانية فى غيها ونقمتها واضطهادها للمسلمين بمختلف الوسائل إلى أن تم تنصير أعداد كبيرة منهم قسراً تحت رهبة الأحكام الشنيعة التى كانت تقوم بها محاكم التفتيش وينفذها رجالات الاكليروس ، فكان الموريسكى يضطر إلى اعتناق النصرانية ولو ظاهراً هرباً من الثبور والويلات التى كانت تصب جامها على رأس كل متمسك بدينه أو عروبته .

ازدادت سرية الممارسة للشعائر الإسلامية ، فغدا الموريسكيون يحذرون أشد الحذر حتى من أبنائهم لأن أولئك الأبناء كانوا يربون فى ظلال الكنائس والأديرة على الدين المسيحى ، خاصة المذهب الكاثوليكى ثم يردون إلى أسرهم ، عيونا تشى لمصلحة محاكم التفتيش للقضاء عليهم ، وقد كانت محاكم التفتيش أو بالأحرى محارقها تلتهم الكثير من الموريسكين الأبرياء ، لأقل الشبه والوشايات ، ونعلم أن لكل فعل رد فعل أدى ذلك إلى ازدياد سريتهم فى التنظيم بعد أن كان الأمر لايستدعى كل هذا الحذر وكل تلك السرية [١] .

ذلكم كان فى بلاد المغرب ، فى الأندلس من قرون مضت .

---

(١) نقلاً من بحث للدكتور محمد عبده حتاملة بمجلة ( دراسات ) التى تصدر عن الجامعة الأردنية عدد كانون الأول ١٩٨١ ، والبحث موثق بالمراجع والوثائق الأجنبية على وجه الدقة .

ولكن حبل الغزو الفكرى العسكرى متصل وللقارىء أن ينظر معنا ـ فيما يأتى كيف يرتبط الغزو الثقافى الفكرى التبشيرى ، بالغزو العسكرى ... فى بلاد المشرق فأيهما ينكر المنكرون ؟

هاهو القائد البرتغالى ـ قبل أن يضع قدمه على أرض الخليج العربى فى القرن السادس عشر الميلادى ـ يرسل إلى إمام عمان الرسالة التمهيدية التالية :

( ـ من ربان برتغالى إلى الإمام سيف بن سلطان الأول اليعربى ... الحمد لله خلق الأرض والسماوات

أنتم يامن تحكمون على رعاياكم فى خلافاتهم .. تعلمون أننا نحن جيش الله ، وقد خلقنا لنكون أداة لعقابه الإلهى ، ووهبنا السيطرة على الذين يحل بهم سخطه ...

إننا لانرحم من يشكو

أو نشفق على من يبكى ...

فقد نزع الله الرحمة من قلوبنا حقا

والويل كل الويل لأولئك الذين لايمتثلون لأوامرنا لقد دمرنا مدناً وقضينا على أهلها وأفسدنا الأرض ... ) إلى أن يقول :

( إن قلوبنا قدت من حجارة ، وأعدادنا كحبات الرمل ، ونحن نعتبر أن أعدادكم الوفيرة قليلة وقوتكم خسيسة ... إننا نحكم الدنيا بالتأكيد من مشرق الشمس إلى مغربها ... ) [1] .

وصحيح أن الإمام سيف بن سلطان الأول رد عليه بما ينبغى ... ولكن هكذا ـ بداهة ـ يبدأ الغزو العسكرى ..

---

(١) الخليج العربى أمام التحدى العقدى لسعيد عبد الله حارب نشر مكتبة الأمة فى دبى طبعة أولى سنة ١٩٨٥ ، ص ٤٣ ـ ٤٦ ، وانظر مانقل عنه : تاريخ عمان لونديل فيلبس ترجمة محمد أمين عبد الله ص ٦٧ .

وهكذا مع الغزو الفكرى ، والعسكرى بدأت ارساليات التنصير تنزل بالخليج العربى وتعمل عملها بالمنطقة .

وبدأ اهتمام الدول الاستعمارية بالمنطقة ابتداء من البرتغال (١٥٢٢ ـ ١٦٤٠م ) إلى فرنسا ، وهولندا ، ثم بريطانيا التى كانت أطولهم احتلالاً للخليج العربى ( ١٧٩٨ ـ ١٩٧١ ) .

وكان اهتمام الدول الاستعمارية بالمنطقة فى ذلك الوقت ومايزال مرتبطاً أشد الارتباط بالنشاط التنصيرى ، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك القرار الذى أصدره لويس الرابع عشر عام ١٦٧٩ بتعيين كبير دير الكراملة بالبصرة قنصلاً فرنسياً بها وماتلا ذلك من تتابع أحد عشر قسيساً فى القيام بواجبات القنصل فى البصرة بين عامى ( ١٦٧٩ ـ ١٧٣٩ ) [١] .

وعندما تأسست " الإرساليات العربية الأمريكية عام ١٨٨٩م أكد القس صمويل زويمر و " جيمس كانتين " كما يقولان ( أن للمسيح الحق فى استرجاع الجزيرة العربية ) !!!

وادعيا أن الدلائل التى تجمعت لديهما تؤكد أن المسيحية كانت منتشرة فى هذه البلاد فى بداية عهدها ، لهذا كما يقولان ( فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية . ) هكذا (!!!)

وعندما وصل زويمر إلى البحرين حوالى عام ١٣١٠ هـ ( بدأ يتصل بالناس فى الأسواق ويناقش الشباب منهم فى أمور الدين ، وكان يحادثهم باللغة العربية فقد كان يجيدها ، وبدأ يتحسس فيهم ميولهم وآمالهم ... ويقول لهم : إنه جاء إليهم فى بلادهم ضيفا عليهم ، وإذا لم يقبلوه فهو ضيف الله ... وكانوا يقولون له : أنت ضيف إبليس وبقى هذا اللقب عالقا به طوال تردده على البحرين بعد ذلك . ) [٢] .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٧ نقلاً عن دليل الخليج لوريمر ج، ٦ ، ص ٣٤٢ .

(٢) المصدر السابق نقلاً عن المؤرخ البحرينى مبارك الخاطر فى كتابه ( القاضى الرئيسى الشيخ قاسم بن مهزع ) .

وعندما ضاقت عليه أرض البحرين ورفض الحاكم أن يثق بتعهداته استعان فى عام ١٨٩٩ بالمقيم السياسى البريطانى الكولونيل " ميد " فى إلزام الحاكم باجابة طلباته لكنه لم ينجح ، ولكنه أعاد الكرة ( عام ١٩٠١) فنجح هذه المرة فى أن يشترى ويضم أو يتسول قطعا من الأرض يضمها إلى مشروعه وما أن حل عام ١٩٠٦ حتى كانت جميع المبانى الملحقة قد اكتملت مكونة المركز العام للإرسالية فى البحرين [1] وكانت هذه هى المحطة الثانية للتبشير فى المنطقة بعد محطة البصرة " .

ثم اتجه زويمر بعد ذلك إلى مسقط ، وكتب زويمر عنها يقول : ( منذ بعض الوقت ومسقط تقدم فرصة مفتوحة لنشر الإنجيل ... والعرب مستعدون للقدوم إلى منزلى لمناقشة الأمور الدينية إذا دعوتهم ... والكتب المقدسة تباع فى معظم الأماكن ، وتقرأ فى السوق أو فى المقهى . ) وعلى العموم لم يواجه هذا الغزو أية مشاكل تذكر فى مسقط فى تلك الأيام بسبب وجود الحماية البريطانية ووجود قنصل أمريكى استخدم حمايته لمتابعة هذا الغزو .

وهكذا اتجهت محاولات الغزو من البصرة إلى البحرين إلى مسقط ، إلى الساحل الشمالى ، إلى قطر ، إلى الكويت ، على تفاوت فى درجات الفشل والنجاح فى هذه المناطق ، ولكنها فى جميع الأحوال كانت شديدة الارتباط بالسلطات الاستعمارية وكان اخفاقها أو نجاحها مرتبطاً بمدى ظهور أو اختفاء هذه الرابطة الاستعمارية ، ذلك لأنه كما يقول الأستاذ سعيد حارب : كان هذا الارتباط الظاهر يؤدى إلى ابتعاد سكان الخليج العربى عن نشاط هذه الإرساليات بعد الاستقلال وانتشار الروح الوطنية المستقلة عن أية تبعية ، وكان بقاء الإرسالية فى عملها يعنى بقاء صورة من الماضى الاستعمارى ، فرأت العقلية التنصيرية ( الغازية ) أن تطوى هذه الصفحة لتبدأ بعدها صفحات أخرى تكون ذات ملامح وأساليب جديدة تتفق مع المتغيرات التى حدثت بالمنطقة . )

---

(١) المصدر السابق ٥٩ ـ ٦١ .

ثم يقول سعيد حارب : ( إن واقع التنصير فى منطقة الخليج العربى يهدد المنطقة بأسرها فخطورة هذا النشاط لاتتوقف عند الخليج بل تتجاوز إلى بقية أجزاء الجزيرة العربية التى هى الهدف الرئيسى للتنصير ) [1] .

ثم يقول الأستاذ سعيد حارب بعد أن يشير إلى النشاط التبشيرى العام الموجه إلى المسلمين فى جميع بلاد آسيا وأفريقيا : ( إن الهدف الرئيسى لم يكن غائباً لحظة عن دعاة التنصير . فمكة المكرمة هى الهدف ( كذا !!! ) والجزيرة العربية هى الطريق الى ذلك ، والخليج هو البداية التى يلج فيها التنصير إلى مكة المكرمة ، كما يصفه ... زويمر . )[2] .

***

لقد جاء فى تقرير اللجنة الثالثة من لجان مؤتمر أدنبرج التبشيرى الذى عقد عام ١٩١٠ :

( اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التى أسسها الأوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجع إلى تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها)[3] .

ولما انتهت اللجنة السابقة من لجان المؤتمر المذكور من أعمالها قال " اللورد بلفور " رئيس الشرف : ( إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات فى أمور هامة ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات ، وعلى هذا فنحن

---

(١) المصدر السابق من ص ٧٠ إلى ص ٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٤ .

(٣) كتاب الغارة على العالم الإسلامى تأليف أ.د شاتليه ترجمة مساعد اليافى ومحب الدين الخطيب ، القاهرة ، المطبعة السلفية / عام ١٣٥٠ هـ ، ص ٧٢ .

فى حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين فأجيب اللورد إلى اقتراحه ) [1] .

ويقول شنكال رئيس غرفة التجارة فى همبرج تعليقاً على أهمية هذا المؤتمر : ( إن نمو ثروة الاستعمار متوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات ، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية إدخال الدين المسيحى فى البلاد المستعمرة لأنه هو الشرط الجوهرى للحصول على الأمنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية ) [2] .

لقد جاء فى قرار المؤتمر المذكور ( إن ارتقاء الإسلام يتهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم ، والمؤتمر يشير على الذين فى أيديهم زمام المستعمرات أن يقوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الإسلام وأن يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية ، وأن ينتفعوا من أعمال إرساليات التبشير التى تبث مبادىء المدنية . ) [3] .

أما فى مؤتمر لكنو التبشيرى الذى عقد عام ١٩١١ فقد جاء فى ختام تقرير للقس سيمون عن حركة الجامعة الإسلامية فى ماليزيا :

( إن العامل الذى جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الإسلامية هو الحقد الذى يضمره سكان البلاد للفاتحين الأوربيين (!!) ولكن المحبة التى تبثها إرساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبى ) [4] .

وجاء فى ختام تقرير القس ينغ فى مؤتمر لكنو المذكور عن الانقلابات السياسية فى جزيرة العرب :

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ـ السابق ـ ص ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٢

(٤) المصدر السابق ص ١٠٥ .

( إنه قد أزف الوقت لارتقاء العالم الإسلامى وسيدخل الإسلام فى شكل جديد من الحياة والعقيدة ، ولكن هذا الإسلام الجديد سينزوى فى النهاية ويتلاشى أمام النصرانية . ) [1] .

ومن الغريب حقا - كما يقول الدكتور سعيد إسماعيل على - أن تمتد يد المبشرين حتى إلى داخل الجامع الأزهر ، نعرف ذلك من رسالة أرسلها طالب طرابلسى كان يدرس فى الأزهر - فى وقت غير بعيد جداً - إلى مجلة الفتح العدد ٦٤ حيث ذكر أنه بينما كان جالسا بالأزهر يراجع دروسه إذا بطائفة من المبشرين يدخلون الأزهر ، وماكادوا يصلون الصحن حتى تفرقوا فى أنحائه ، وذهب كل واحد منهم إلى ناحية كعادة موزعى الاعلانات ، فعلم أن فى الأمر شيئاً ، وقام من مجلسه لعله يعرف السبب الذى دعاهم إلى الانتشار على خلاف المعتاد ، وماهو إلا أن لقيه بعضهم فدفع إليه بكتب من الكتب ، عنوانه " النجدين " يدور حول الكيفية التى يصير بها المسيحى مسلماً والتى يعتنق بها المسلم المسيحية ، والهدف الأخير كان هو المقصود بالطبع ، فذهب الدارس إلى بعض أولى الأمر فى الأزهر ، محتجا على ترك هؤلاء يدخلون المسجد .

كذلك كشف أحد دارسى الأزهر أن الجامعة الأمريكية وزعت مرة بجوار الأزهر منشورات تدعو فيها طلاب العلم للاعتناء بمحاضرتها ، فلبى عدد من الأزهريين ( حسنى النية ) دعوتها ، وملأوا قاعة المحاضرات حتى ازدحمت بهم وكأن الدعوة لم تصل إلا للأزهرى فيما يقول صاحب الرواية ، بالاضافة إلى عدد قليل من غيرهم وكانت المحاضرة باللغة الإنجليزية التى لايعرفها الأزهريون (!) ، ومن هنا كانت الجامعة تستعين بمترجم ينقل معناها إلى المستمعين ، يقول صاحب الرواية : إنهم فوجئوا بالمحاضر يبشر ويوجه إلى الإسلام تهما خبيثة ، حتى تبرموا واعتذر المترجم بأنه ناقل فحسب .

---

(١) المصدر السابق ص ١١٢ .

وكما يقول الدكتور سعيد إسماعيل على الذى ننقل عنه ماسلف ( كان نشاط المبشرين يتعاظم وبدأت الشكاوى وصيحات الاحتجاج ترتفع من كل مكان فكان لابد للأزهر من أن يتخذ موقفاً حازماً ، فاجتمعت لأجل ذلك هيئة كبار العلماء برئاسة شيخه فى ١٩٣٦/٦/٢٦ ، وعرض فى الاجتماع ماستفاضت به الأخبار من قيام المبشرين بتتصير أبناء المسلمين فى مختلف الجهات بما يتخذون من وسائل الحيل والفنون والإغراء تارة وضروب العنف والإرهاب أخرى . وبعد البحث والمداولة قررت الهيئة ـ انظر مجلة نور الإسلام ربيع أول ١٣٥٢ هـ ـ مطالبة الحكومة بأن تسن تشريعا حازماً يجتث بذور هذا الفساد ، ويستأصل شأفه هذا المرض الوبيل القتال ، كى يطمئن المسلمون على دينهم وكى يكون أولادهم وإخوانهم وأقاربهم فى مأمن .) [1]

ولاجدال فى أن دور الغزو الفكرى قد فاحت رائحته الكريهة فى هذه المؤتمرات وذلك النشاط كما لاشك أن ذلك يتم بالمخدر الأقوى : استبعاد الدين .

واستبعاد الدين هنا مقصود به " الدين الإسلامى " بخاصة ، وإذن ، فالعلمانية موظفة لدور تآمرى ملوث .

يقول القس اكسنفلد فى مناقشة له بمؤتمر أندنبرج التبشيرى الذى أشرنا إليه سابقاً وذلك بعد أن أشار إلى ( أن الخطر الإسلامى صار أمره معروفاً عند الجميع ... ) قال : إن الحكومة لابد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين فى المدارس العلمانية مادام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ... ) [2] .

وهنا يكون من الواضح أن العلمانية وإن كانت تستبعد الدين إلا أنها

---

(١) انظر كتاب دور الأزهر فى السياسة المصرية ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

(٢) كتاب الغارة على العالم الإسلامى ص ٨٢ .

تجد فى الدين المضـاد حليفاً طبيعياً يشاركها فى العمل على تحطيم الدين الأصلى السائد .

إن العاملين فى مجال تحطيم المسلمين والإسلام هنا هم ثالوث متداخل الأركان : الاستعمار والتبشير والعلمانية . ثم انظر بعدُ تحت أى حذاء من أحذية هذا الثالوث تجد من يسمون أنفسهم دعاة الإسلام الجديد " !!!

**أما فى الخلافة العثمانية :**

فنحن نعرف ماحدث للخلافة العثمانية التى تآمر الغرب على إسقاطها فى بداية هذا القرن بعد أن ظلت أكثر من أربعة قرون القلعة الشامخة للإسلام والمسلمين تحميهم وتذود عنهم كلاب أوربا المسعورة ، وتبث الرعب فى رجالها البغاة وتصل إلى مخادعهم لتملأها بكوابيس الذل والهوان .

صحيح أن هذه الامبراطورية كانت قد شاخت وسرت فى جسمها أمراض الحضارات الكبيرة ، وأنها كانت فى حاجة إلى دم جديد ، أو إلى مركز إشعاع إسلامى جديد .

لكن غير الصحيح هو ماتولى كبره الغرب من التآمر على توزيع ميراث هذا " الرجل المريض " ودفن دولة الإسلام الكبرى إلى الأبد ، باسم العلمانية ، وبأيدى العلمانيين من زعماء تركيا .

والسؤال الآن : ماالذى حدث للدولة الإسلامية على يد العلمانية فى تركيا ؟

وهنا فإنى أترك القارىء يستمع إلى رواية الأستاذ فهمى هويدى الذى سعى إلى استامبول ولقى رجالها المخضرمين الذين عايشوا التجربة العلمانية الكمالية .

يقول الأستاذ فهمى هويدى : إنه عندما سألهم عن حقيقة ماجرى تحفظوا جميعا على الفور وقالوا : القانون التركى يسمح بالتعرض بالنقد

والتقييم والتجريح للذات العلية والرسل والكتب السماوية ، ولأى مقدس باستثناء رمز واحد هو : شخص كمال أتاتورك .

ليس هذا فقط ، بل أن ذكر الإسلام أو الشريعة يعد من المحظورات التى يعاقب عليها القانون بالسجن ١٢ عاماً ، والمشتغلون بالعمل الإسلامى يتحايلون على ذلك النص القانونى ، فلا يذكرون أمثال تلك الكلمات " ولكنهم يشيرون إلى الإسلام والشريعة ، أحياناً بكلمة " الحق " ، " أو وجدان الأمة " ( مللى شعور ) وفى هذا الصدد يذكر أن نجم الدين أربكان ، رئيس حزب الرفاه ـ وهو حزب إسلامى لم يجرؤ على ذكر صلته بالإسلام ـ سئل أثناء محاكمته عما إذا كان يعنى الإسلام أو الشريعة ، بكلمة الحق التى يرددها أحيانا ، فكان رده أنه لم يقل بأنه يقصد المعنى الذى أشارت إليه المحكمة ، وأنه يحاسب على نص كلماته لا على تفسير المحكمة له .

وعندما ألححت فى الأسئلة ـ الكلام للأستاذ فهمى هويدى ـ اشترطوا على قبل أى حديث ألا يشار إلى أسمائهم ونصحونى فى الوقت ذاته بالرجوع إلى كتابين ـ إن أردت التعرف على الوجه الآخر للصورة هما : الرجل الصنم ( أتاتورك ) وهو من تأليف ضابط تركى مات منذ سنتين (١٩٨٤) حجب اسمه ، ووضع صفته فقط على غلاف الكتاب ، خشية التعرض للعقاب أو الملاحقة من جانب الكماليين ، والكتاب يتداول سراً فى تركيا ، وقد ترجم إلى العربية فى السبعينات ، وطبع فى بيروت والكويت ، أما الكتاب الثانى فعنوانه هو : " النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والأمة " ( يقصد الكماليين ) من تأليف شيخ الإسلام فى عهد السلطان عبد الحميد ، الشيخ مصطفى صبرى ، وقد طبع خلال الخمسينات فى القاهرة ، وصدرت له نسخة محققة فى العام الماضى (١٩٨٥م ) قدمها الدكتور مصطفى حلمى من جامعة الاسكندرية .

تشير مجمل تلك المصادر إلى أن مصطفى كمال ـ الذى أعطى لاحقا لقب " أتاتورك " أو أبو الأتراك ـ قدم نفسه فى البداية باعتباره منقذا للخلافة

وللأمة الإسلامية ، وفى بيان أصدره بمناسبة افتتاح مجلس الأمة التركى سنة ١٩٢٠ قال : " إن افتتاح المجلس فى يوم الجمعة هو من أجل الاستفادة من بركة هذا اليوم .. وباشتراك جميع النواب فى صلاة الجمعة بجامع " حاجى بيرام " سيؤخذ الفيض من نور القرآن والصلوات على الرسول ... سيبدأ من الآن فى جميع أرجاء الوطن المقدس والجريح بقراءة القرآن والبخارى الشريف ، وستتلى الصلوات من فوق المنابر فى يوم الجمعة بعد الآذان وعندما تتلى الأسماء السلطانية لمولانا وسلطاننا وخليفتنا ، فستتلى الأدعية من أجل خلاص حضرته السامية ، ومن أجل خلاص بلده وخلاص رعيته وتحقيق السعادة لهم فى أقرب وقت " .

ولكنه بعد عامين فقط من هذا الكلام ( فى سنة ١٩٢٢ ) أعن أن تجربته أثبتت امكانية فصل السلطنة عن الخلافة ، وأن مجلس الأمة التركى يستطيع أن يمثل الحاكمية والسلطنة ، وبذلك تعود السلطنة إلى الأمة .

على الفور شكلت لجنة لبحث الأمر ، وأعدت مشروع قانون الفصل بين الخلافة والحكومة ، وعندما طرح المشروع للتصويت اعترض مصطفى كمال على مبدأ التصويت قائلاً : إنه من الطبيعى أن يوافق مجلس الأمة بالاجماع على إعادة السلطة إلى الأمة ، والحفاظ على استقلال الأمة والوطن.

كانت هذه الخطوة هى التمهيد الطبيعى لإلغاء الخلافة بعد ذلك فى شهر مارس من عام ١٩٢٤ ، بالقوانين الثلاثة الشهيرة ، التى حملت أرقام ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ـ ٤٣١ ـ وينص أولها على إلغاء وزارتى الأوقاف والشرعية بينما ينص القانون الثالث على أن تلحق جميع المؤسسات العلمية والدينية بوزارة المعارف .

كان ذلك ايذانا بميلاد الدولة العلمانية الجديدة التى بدأت هويتها تلك تتردد على مختلف الألسنة وفى مختلف المحافل ، وفى مذكرات على كيليج ـ أحد رجال أتاتورك ـ أن قضية العلمانية أثيرت فى اجتماعات مجلس الأمة ، فى حضور مصطفى كمال ، فقام أحد العلماء من أعضاء المجلس وقال : "

إن الكل يتحدث عن العلمانية ، ولكنى لا أستطيع فهم معناها على وجه التحديد "عندئذ قاطعه مصطفى كمال بحدة وقال : إنها ، تعنى أن نكون آدميين ياشيخنا .. آدميون !

وبينما كانت الدعوة إلى العلمانية تشتد ، فإن الحملة على الشريعة كانت تمضى معها فى خط مواز ، وكان مصطفى كمال هو الذى قاد تلك الحملة ، حيث بدأها بأن قال غامزا " إن الدين المتعلق بالضمير شىء والشريعة التى تريد أن يتجمد المجتمع وأمور الدنيا عند القرن السابع (الميلادى) شىء آخر " ( لاحظ أن العبارة تتردد بنصها الآن فى أوساط العلمانيين [1] ) ، مما قال أيضاً : " إن التشريع والقضاء فى أمة عصرية يجب أن يكونا مطابقين لأحوال الزمان ، لا للمبادىء ولا للتقاليد " أما وزير العدل فى حكومته ، محمود أسعد ، فقد هاجم الشريعة ووصفها بأنها " قانون الصحراء " [2] ، وقال : " إن الشعب التركى جدير بأن يفكر بنفسه ، دون أن يتقيد بما يفكر فيه غيره من قبله ، لقد كانت كل مادة من مواد كتبنا القضائية تبدأ بكلمة " قال " المقدسة ، أما الآن فلا يهمنا أصلاً ماذا قالوا فى الماضى بل يهمنا أن نفكر نحن ، وأن نقول نحن ، وقد شاعت فى أنقرة آنذاك عبارة تقول : لاتريد شرعا فيه قال وقالوا ، لكنا نريد شرعا فيه قلنا ونقول " .

هذه " الظاهرة " أفرزت القانون المدنى الجديد ، الذى جاء ترجمة للقانون المدنى السويسرى .

وكان هو البديل الذى حل محل الشريعة الإسلامية ، وقد اعتبره أتاتورك تحقيقا للانتصار النهائى للكفاح فى سبيل المدنية فى عصر تأسيس

---

(١) لاحظ أيضاً أن الكلام مايزال للأستاذ فهمى هويدى .

(٢) قارن هذا مع مايقوله أحمد عبد المعطى حجازى عن الموازنة بين ثقافة الحضارة الزراعية " مصر " وثقافة الصحراء التى يحملها المتشددون فى الإسلام . انظر الأهرام ١٩٨٨/٥/١٨ .

الجمهورية " وقال : إنّ إقرار القانون المدنى وتنقية الدستور لصالح العلمانية ( بحذف المادة التى تنص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام ) هو بمثابة لبس التاج فى مراسم انتصار مبادئنا الثورية .

أراد الكماليون أن يتخلصوا من الشريعة فترجموا كل ما أمكن نقله من مواد القانون السويسرى ، وقد واجهتهم بعض المشكلات الصغيرة فى هذا الصدد ، إذ - تبينوا مثلاً - أن القانون السويسرى يمنع الزواج بين الأخوة فى الرضاعة ، استناداً إلى اجتهادات الكنيسة الفرنسية ، شأنه فى ذلك شأن الشريعة الإسلامية .

وقد عرضوا الأمر على أتاتورك الذى أغضبه هذا التماثل ، مما دفع ناقلى القانون إلى إلغاء الحظر ، والسماح للتركى بأن يتزوج أخته فى الرضاعة ، إمعانا فى رفض كل ماجاءت به الشريعة !

ثمة ملاحظة طريفة فى هذا الصدد أوردها أحد الكتاب الفرنسيين (موريس برنو ) قال فيها : إن الكماليين عندما استبعدوا الشريعة وظنوا أنهم تخلصوا من عبء كلمات مثل : قال وقالوا ، فإنهم لم يفعلوا أكثر من استعارة القانون المدنى السويسرى لتطبيقه ، غير مدركين أنه نابع من مصدرين ، أحدهما رومانى والآخر مسيحى ، أى أنهم استعانوا بقانون له مصادره الأقدم عهدا من الفقه الإسلامى ، الذى زعم مصطفى كمال أنه ألغاه بسبب توغله فى القدم وإذ يسجل الأمير شكيب أرسلان هذه النقطة فإنه يضيف أن أوربا التى يتطلع إليها هؤلاء - وأمثالهم - ليس فيها قانون غير متأثر بالتعاليم المسيحية والتشريع الرومانى ، وأنه ليس فى الدنيا شرع أو قانون يخلو من قال وقالوا، غاية ماهناك ، أنهم يستبدلون سلفاً بسلف .

لم يقف جهد أتاتورك وجماعته عند هذا الحد ، ولكن الأمر تجاوز تعطيل الشريعة إلى محاولة قطع كل الروابط التى تصل الأتراك بالإسلام ، فقد تحولت الخلافة إلى دائرة صغيرة تابعة إلى وزارة الداخلية للشئون الدينية

- يانت ايشى - وأغلقت كل مدارس التعليم الدينى ، وكل التكايا والزوايا والأضرحة ومقار الطرق الصوفية ، وألغيت أعياد الفطر والأضحى لعدة سنوات ، ومنع أداء فريضة الحج ، ومنع الآذان باللغة العربية ، حيث أصبح يؤذن بالتركية ، واستمر هذا الوضع حتى سنة ١٩٥٠ ، أى بعد وفاة أتاتورك وطرحت فكرة ترجمة القرآن بالتركية لتكون الصلاة به ، ولكن لم يكتب لهذا الاقتراح أن ينفذ وألغيت الجمعة ( أيضاً ) واستبدل بها الأحد ، ومنع الحجاب فضلاً عن أن القانون المدنى كان قد منع تعدد الزوجات ، وأباح زواج المسلمة بغير المسلم ، وصدر قانون يمنع ارتداء الطربوش ، الذى عد رمز الانتماء للدولة الإسلامية ، وتم استبداله بالقبعة ، التى كان الناس يعتبرونها لباس أهل الكفر لأن حافة القبعة تحول دون السجود فى الصلاة ، وكانت الطامة الكبرى ، أن قرر أتاتورك إلغاء الحرف العربى واستبدل به الحروف اللاتينية ، وتم ذلك تحت شعار إتاحة الفرصة للناشئة الأتراك لأن يستفيدوا من علوم الغرب ، ولتخليص الأتراك من إسار اللغة العربية ، ليكون انتماؤهم القومى صافياً ، كما كتب فالح رفقى ، أحد رجال أتاتورك ، ولكن القرار كان يعنى فى حقيقة الأمر ليس فقط قطع الصلة بين الأتراك وبين لغة القرآن ومنابع الثقافة الإسلامية ، ولكن أيضاً إسقاط كل التراث الثقافى الإسلامى الذى نهل منه الأتراك معارفهم الدينية .

وكانت الذروة فى سعى أتاتورك للالتحاق بالغرب والتعلق به ، أن طلب وهو على فراش المرض - قبل وفاته - من السفير البريطانى فى أنقرة ، أن يخلفه فى حكم تركيا !!

وهى المفاجأة التى أعلنتها صحيفة " الصنداى تايمز " قبل سنوات (عدد ١٤ فبراير ٦٨ ) عندما نشرت القصة ، ونقلت تفاصيلها ووثائقها المثيرة عن ابن السفير البريطانى الأسبق ، السير بيرسون ديكسون.

فى الشق المتعلق بالديموقراطية والحريات ، فإن التساؤلات التى قد تثور بشأنه يرد عليها بلاغة ذلك العنوان الذى اختاره أبرز مفكرى الكمالية

" شوكت باشا " للموسوعة التى وضعها من ثلاثة أجزاء للتعريف بعبقريته ومناقبه ، وكان العنوان هو " الرجل الأوحد " أما رئيس وزرائه وخليفته عصمت اينونو فقد قال عن الرجل فى إحدى المناسبات : " إن حبه عباده " !

ويذكر كتاب " الرجل الصنم " أن بعض أعضاء مجلس الأمة اعترضوا على قانون منع الطربوش ، ودعوا إلى احترام رأى المجلس ، فكان رده أنا الذى جمعت هذا المجلس ، وأنا الذى صنعته ، فإذا كنتم تطالبون باحترام المجلس فإننى علاوة على ذلك أحترم أثرى وصنع يدى ! ، وعندما خطر لبعض أعضاء المجلس أن يفكروا فى إنشاء " الحزب الجمهورى التقدمى " وعرف أن احترام المعتقدات الدينية من بين مبادئه ، فإنه أصدر قانونا باسم " إقرار السكون " أغلق بمقتضاه الصحف ، وألقى القبض على رؤساء التحرير ، ووضع كل العلماء تحت المراقبة ، وأغلق الزوايا والتكايا وعندما ثار بعض أعضاء المجلس على اغتيال أحد المعارضين ( على شكرى ) وطالبوا التحقيق فى الجريمة فإنه أمر بحل المجلس ، وأنشأ حزب " الشعب " برياسته معتبرا نفسه نائبا عن الشعب.

أما قصص إقامة الأحزاب وتقويضها ، وصناعة الدمى السياسية من هياكل العبيد الجاهزة فى كل عصر ، وتشكيل المحاكم ثم إلغائها وفصل قضاتها والازدراء بالجماهير واحتقار شأنها ، هذه القصص تملأ أكثر من ٤٠٠ صفحة فى كتاب الرجل الصنم ، فضلاً عن أن تفاصيلها المأساوية مازالت محفورة فى أعماق الجيل المقهور الذى لحق بعصر " الانطلاقة العلمانية العظمى " [1] .

***

وهكذا سقطت تركيا معقل الخلافة العثمانية والدولة الإسلامية وانفرط عقد الشعوب الإسلامية المعقودة حباتها بها ، وتداعت الأكلة المنهومة الناقمة إلى القصعة الثرية .

---

(١) نقلاً عن جريدة الأهرام للأستاذ فهمى هويدى ، جزاه الله خير الجزاء .

وتداعت شعوب المسلمين ، التى كانت قد بدت عليها الشروخ من قبل وأعلنت الحماية الغربية الموتورة على شعوب المشرق والمغرب من شعوب الإسلام ، وعقدت اتفاقيات الغرب فى تقسيم ميراث الرجل المريض. وبالرغم من هذا السقوط المدوى لتركيا حيث تمزقت دولتها الإسلامية الكبرى أشلاء فإن الدجالين من سماسرة الغرب ودعاة العلمانية يروجون لهذا السقوط ويلبسونه ثوب " النهوض " هكذا .

وردا على هذه المزاعم يقول الأستاذ الدكتور محمد البهى :

( يلاحظ أن تركيا هى الدولة الإسلامية فى الشرق التى أعلنت العلمانية الغربية كأساس لسياستها الجديدة ، منذ تولى أتاتورك السلطة فيها بعد الحرب العالمية الأولى ، والسياسيون فى الغرب على الخصوص ومعهم المستشرقون فى بحوثهم وكتاباتهم يشيدون بتقدم صناعى علمى فيها ، ويعودون بأسبابه إلى دخول تركيا مجال الغرب بدون الإسلام ، ففصلها بين الإسلام ـ كدين ـ والدولة ، هو العامل فى نظرهم الذى قربها من الدولة المتطورة .

إن تركيا فى قبولها للعلمانية كانت مجبرة فى تسوية الصلح الذى دار وراء الكواليس مع الحلفاء ، بعد انتصارهم فى الحرب العالمية الأولى ، وقصد الحلفاء من إعلان تركيا العلمانية ، وفصل الإسلام عن الدولة وهى مركز الخلافة الإسلامية إلغاء الخلافة الإسلامية ، كأداة تجميع للمسلمين : عرب ، وعجم على السواء فى آسيا وأفريقيا ، إذ سيترتب على إلغاء الخلافة إمكان تمزيق المسلمين إلى عرب ينطقون بالعربية ، وغير عرب ينطقون بلغاتهم الوطنية ، وعندئذ يمكن التبشير بالقومية العربية كذلك لتوسيع الهوة بين المسلمين ثم لكى لاتكون للقومية العربية فاعلية بعد عزل العرب عن غيرهم من المسلمين ويلاحظ أن هذا وذاك ، كان مقدمة ضرورية لعزل فلسطين عن قلعتها تمهيدا لالتهامها) [1] .

---

[1] أنظر " العلمانية و الاسلام بين الفكر و التطبيق " ص٤٧ وما بعدها

ونحن لاتتذكر ذلك لمحض المقابلة بين ذاتية وذاتية ، أو لمحض التأكيد على الذاتية الإسلامية ، وأننا اليوم فى معركة الجهاد الثقافى للمحافظة على هذه الذاتية ، بعد أن سقطت بالفعل القلاع المتقدمة ...

ولكننا نذكر ماتذكر لنصل الماضى بالحاضر فى المعركة الدائرة .

ماضى الحروب الصليبية ، والقضاء على المسلمين فى الأندلس ، ثم القضاء على الدولة الإسلامية ، بحاضر الابادة البشرية التى تجرى فى فلسطين، والشيشان ، والبوسنة والهرسك ، ومايرتكب فى كل ذلك من فظائع همجية وحشية ، لاتقاس عليها أعمال التتار والبربر والعصور الوسطى ...

وخذ عينة صغيرة من فلسطين ...

( الصحفى الفلسطينى " باسم عيد " أعد بحثاً خاصاً لمركز حقوق الانسان فى إسرائيل " بيتسليم " نقل فيه اعترافات جندى مسرّح من الوحدات الخاصة اسمه " دانى " ، ومما جاء فى هذه الاعترافات :

" فى أحد الأيام أطلق صديقى الرصاص على شاب عربى حتى أخرج أمعاءه من بطنه ، وبعد أن سقط الشاب مضرجا بدمائه تقدمنا نحوه ، وإذا به ينزف ويبصق علينا ، قلت له : اخرس ، وبدأت أضحك ، وكأن هناك أحدا يدغدغنى ، ربطت جرحه ، وطلبت من أحد الجنود أن يضع له حجراً داخل جرحه لوقف نزيف الدم ، وعندما أخبرت أمى بهذه الحادثة بدأت بالضحك .. )

( جندى آخر يدعى " دودو " يرى أن المسئولية تقع على عاتق من وجهّه للقتل فيقول " يعطونك الاندفاع لتكون مفترسا ، ويصل بك الحد لتصلح مفترساً فعلاً بسبب العمل الذى تقوم به فتكون أنت إنساناً غير ذلك ، لكن العمل هو العمل ..

وماهى الوحدات الخاصة تلك ؟ هى وحدات شكلها الإسرائيليون فى نهاية عام ١٩٨٨ ، وأعلنوا عن وجودها رسمياً عام ١٩٩٠ وقد حدد الهدف الأساسى لهذه الوحدات باعتقال وتصفية الشبان الفلسطينيين المسلحين من

خلال نصب الكمائن لهم، والتنكر بالزى النسائى ، أو زى السياح واللباس العربى ، ويستخدم جنود هذه الوحدات سيارات تحمل لوحات الضفة الغربية زيادة فى التضليل وحتى يتمكنوا من دخول القرى دون إثارة ريبة الشبان .

ويتسلى أفراد هذه الوحدات فى أوقات الفراغ بشراء الدجاج للتصويب عليه ، وبعد التسريح يفكرون بالذهاب إلى البوسنة للقتال ضد المسلمين ..[1]

ولنسمع إلى صحفى إسرائيلى ناقد لبعض التصرفات الإسرائيلية " أرييه شافيت " فى مقال له بجريدة " هاآرتس " نقلته وكالات الأنباء العالمية ولم تمنعه الرقابة الإسرائيلية العسكرية لعلها تريد بذلك تأكيد الزعم بأنها دولة ديموقراطية ..

يعلق أرييه شافيت على مجزرة قانا التى قتلت فيها القوات الإسرائيلية مايزيد على مائة مدنى فى هجوم مقصود على مقر قوات الأمم المتحدة فى لبنان فى " قانا " : ويزعم أنها تهاجم قوات المقاومة اللبنانية وحزب الله ، فيقول :

( إن مجزرة قانا تعبير فاضح عن بذرة فاسدة مزروعة فى الثقافة الإسرائيلية .. كيف قتلناهم بسهولة من دون أن يذرف دمعة واحدة ومن دون أن نشكل لجنة ، ومن دون أن نملأ الشوارع تظاهرات ...

لقد قتلناهم بفاعلية كبرى وكنا واثقين من أننا نعمل استنادا إلى حسابات باردة ومواقع عملية .

كانت ذريعتنا الكبيرة هى أن المسئولية لاتقع علينا وإنما على " حزب الله " لكنها ذريعة واهية ، ذلك لأننا عندما اتخذنا القرار بفتح النار بغزارة على المناطق السكنية فى جنوب لبنان ـ فى وقت لم يكن هناك أى خطر حقيقى يهدد إسرائيل ـ فإننا قررنا بذلك فى الواقع أن نسفك دماء عدد غير محدد من المدنيين الأبرياء .

---

(١) جريدة الخليج بالامارات ١٩٩٣/٥/٦ .

وعندما اتخذنا القرار باخراج نصف مليون شخص من منازلهم وبقصف من بقى منهم ، فى وقت لم يسقط فيه أى قتيل إسرائيلى ، فإننا قررنا بذلك فى الحقيقة أن نقتل العشرات منهم ...

إن ماجعلنا نصل إلى مثل هذه القرارات الدنيئة من دون أن نعتبر أنفسنا أوغادا هو أنهم بالنسبة إلينا غير موجودين .

قتلناهم ببساطة لأنه لم يكن من الأهمية بمكان بالنسبة لنا ألا نقتلهم ، لأن عدم قتلهم ليس فى سلم أولوياتنا ، لقد قتلناهم لأن الفارق الشاسع بين الطابع المهم إلى حد القداسة الذى نوليه لأرواحنا وبين الطابع قليل الأهمية لأرواحهم سمح لنا بقتلهم[1] .

إننا مقتنعون إلى درجة لاتقبل الشك بأن حياة الآخرين ليست بالأهمية التى نوليها لحياتنا طالما أن البيت الأبيض ومجلس الشيوخ ، وصحيفة نيويورك تايمز طوع بناننا .

ونحن نؤمن إيماناً مطلقاً بأنه طالما لدينا ايباك " مجلس المنظمات اليهودية " وبرونجمان " رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ، وديمونة المفاعل النووى ، وبادفاشيم " نصب ضحايا المحرقة النازية ، ومتحف المحرقة ، فإن من حقنا أن نبلغ ٤٠٠ ألف شخص أن أمامهم ثمانى ساعات لاخلاء منازلهم ، ومن حقنا أن نتعامل مع منازلهم بعد انقضاء الساعات الثمانى كأهداف عسكرية ، ومن حقنا أن نلقى ستة آلاف قذيفة على المناطق الآهلة بالسكان والقرى والبلدان ، ومن حقنا أن نقتلهم من دون أن نشعر بأى ذنب . )[2]

وماذا عن البوسنة والهرسك :

( يقول فوشتيك السفاح الصربى بالحرف الواحد فى حديثه لمجلة " دير شبيجل " :

---

(١) لاحظ الضغط الذى مارسته الولايات المتحدة الأمريكية على هيئة الأمم المتحدة لسحب قرارها باعتبار الصهيونية مذهباً عنصرياً .

(٢) جاء ذلك ضمن مقال للأستاذ عزت صافى بجريدة الخليج ١٩٩٦/٥/٢٣ .

" لقد قتلت وحدتى مئات المسلمين ، وقمت شخصياً بإطلاق الرصاص على الأسرى المسلمين للقضاء عليهم " .

وعندما نبهته المجلة إلى المعاهدات الدولية التى تحرم قتل الأسرى قال :

" إنه لم يجد سيارات لنقل الأسرى فوجد أرخص طريقة أن يقتلهم بالجملة ، مثلما أجهز رفاقه الصرب على ٦٤٠ مسلما كانوا يختفون فى مخبأ.

وعندما سألته المجلة عن الهدف من الحرب ؟

قال دون تردد : هدفنا هو القضاء على المسلمين فالمسلمون فى أوربا يجب أن يختفوا كأمة . واستمر قائلاً :

وأنا أقتل كل قادر على الحرب من المسلمين ، ومن لا أقتله أقوم بحرق عينيه ... ونحن نلجأ إلى تهشيم أيدى الأسرى ببطء حتى يعترفوا بما نريد من معلومات .. )

هذا هو الفحش الإجرامى الذى يجرى على ملأ من دول تتحدث عن العدالة وحقوق الانسان وتحاكم هذا على نسف طائرة ... وهذا على خطف رهينة ... الخ بينما هناك عملية إبادة عرقية دينية ، وطرد جماعى لثلاثة ملايين مواطن من أراضيهم ، وقتل وتعذيب وحرق أكثر من سبعين ألف شهيد جهاراً نهاراً أمام تواطؤ عالمى ، وأمام دول .. تكتفى بالشجب والتصريحات ودول أخرى تخفى رءوسها فى الرمال ... والظلم على الضعفاء دوار ، ودورنا قادم فى الطريق .

أقول لهؤلاء إن دورنا قادم فى الطريق ، فالجنود التاميل يقتلون اليوم مئات المسلمين فى مذابح متصلة فى سيريلانكا ، والهنود يقتلون مسلمى كشمير ، والبورميون يذبحون مسلمى بورما بالآلاف ، والدبابات الروسية أعملت السلاح فى الجبهة الإسلامية... والترسانة العسكرية النووية والميكروبية والكيماوية - فى إسرائيل - تتربص لتصفية الإسلام من الكرة

الأرضية كلها فى المعركة التى يبشر بها التلمود والتى يسمونها معركة " هرمجدون " [1] .

وتؤمن الحركة الأصولية المسيحية الصهيونية الأمريكية بهذه المعركة وهى حركة تضم ـ كما جاء فى موسوعة اكسفورد للعالم المسيحى الصادرة عام ١٩٨٢ ـ الأعداد التالية :

٢٤٠,١٥٧,١٠٠ مليونا على مستوى العالم .[2]

٧٤,٧٢٨,٠٠٠ مليونا فى أمريكا وحدها .

وقد حددت الحركة موعدا لهذه المعركة .

حددته فى عام ١٩٨٨ ، ولما لم يحدث حددت له عام ١٩٩٢ وعندما لم يحدث حددت له موعدا جديداً هو عام ٢٠٠٠ م باعتباره النهاية ، وبداية الألف عام الجديدة السعيدة ، التى يحكم المسيحيون فيها العالم وفقا لما جاء فى سفر أشعيا النبى ، والاصحاح الثالث عشر ، وهم قد كانوا يواظبون على قراءة هذا السفر ، وذلك الاصحاح ، يوميا أثناء حرب الخليج الثانية فى ١٧ يناير ١٩٩١[3] .

إن العجب كل العجب فينا نحن الذين نتلقى هذه الأخبار والتقارير بشىء من الاندهاش والاستغراب : الصدمة ازاء مزاعم عن التقدم والحضارة والرقى ، والحضارة الانسانية ، والمحافظة على حقوق الانسان .

كيف نندهش ؟

كيف نندهش وقد أخبرنا ديننا الحنيف بكل هذا الذى يحدث ؟

ألا يعنى هذا الاندهاش إثما فكرياً أو معصية عقلية ، تعنى أننا ـ لاشعوريا ـ أكثر تصديقاً لمزاعم عن حضارتهم منا لما أخبرنا به الرسول عن همجيتهم ؟!

---

(١) تحقيق : الأهرام ١٩٩٢/٩/٣٠ .

(٢) المسيحية والحرب للقس د . رفيق حبيب ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٧ .

( يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ... )

وإذا كان الرسول ﷺ قد أنذرنا بهذا الخطر فى صيغة يغلب عليها الخطر المادى ، فإنه وهو خطر الاستئصال ، يتضمن حتما خطر المحو .. الثقافى فى آخر المطاف .

معركة الثقافة .

معركة الذاتية .

وإن القرآن أنذرنا بما يسبق الخطر المادى ، ومايعقبه على السواء .

أنذرنا بالغزو الثقافى .

أنذرنا بغزو الذات ...

يقول تعالى ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم... ﴾

ويقول تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لايهدى القوم الظالمين .فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا فى أنفسهم نادمين ﴾ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ المائدة .

ويقول تعالى :﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون . ﴾ ٥٧ ـ ٥٩ المائدة .

ويقول تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا . ﴾ ٤٤ النساء.

إن المقارنة بين أهمالنا لما أخبرنا به الله ورسوله وبين مارسخ فى وجدان البعض منا حول التقدم والرقى والقيم الإنسانية التى تأتى من الغرب... الخ هذه المقارنة تبين إلى أى حد وصلنا فى معركة الذات .

إنها تؤكد أننا غارقون إلى الأذقان تحت هزيمة فكرية ينبغى أن نتخلص منها أولا قبل أن ندخل المعارك السياسية أو العسكرية .

إنه لاينبغى أن يغيب عن وجداننا أننا أمام حملة صليبية جديدة أشد ضراوة وأقوى تخطيطاً من جميع الحملات السابقة .

ذلك لأن الحملة الجديدة أخذت تقدم لنفسها بحرب ثقافية استمرت طوال هذا القرن استهدفت محو الذاتية الحضارية الإسلامية ، بواسطة المبشرين والمستشرقين والمستعمرين والعملاء ، ووصلت إلى قدر ملحوظ من النجاح فى عملية الاستئصال الثقافى الذى من شأنه أن يؤدى إلى النتائج التى لم تصل إليها الحروب الصليبية من قبل فى المشرق وهى نتائج لاتقل خطرا عن عملية الاستئصال التى نجحت نجاحاً كاملاً فى الأندلس من قبل ، ولازالت تجر ذيولها فى شرق أوربا .

يقول الفيلسوف الفرنسى الشهير جان بول سارتر فى مقدمة كتاب " المنبوذون فى الأرض " :

( كنا نحضر أبناء السادة من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام فى لندن وباريس وأمستردام فتتغير ملابسهم ، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الجديدة ، ويرتدون الستر ات والسراويل ، ويتعلمون لغتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا ... ونلقنهم أسلوب الحياة ، على أثاث جديد ، وطرز جديدة ، من الزينة ، واستهلاك أوربى وغذاء أوربى كنا نضع فى أعماق قلوبهم أوربا ، والرغبة فى تحويل بلادهم إلى أوربا ، ثم نرسلهم إلى بلادهم ، حيث يرددون مانقوله بالحرف تماماً ، مثل الثقب الذى يتدفق منه الماء فى الحوض.

هذه أصواتنا تخرج من أفواههم ، وحينما كنا نصمت كانت ثقوب الأحواض هذه تصمت أيضاً ، وحينما كنا نتحدث كنا نسمع انعكاساً صادقاً وأميناً لأصواتنا من الحلوق التى صنعناها .

وكنا واثقين أن هؤلاء المفكرين لايملكون كلمة واحدة يقولونها غير ماوضعنا فى أفواههم .

ليس هذا فحسب ، بل إنهم سلبوا حق الكلام من مواطنيهم !!! . )

ويقول مستر بيرغرين وورستورن فى مقال له بجريدة الصنداى تلجراف فى ١٩٧٨/١٢/١٧ ، بعد أن يشير إلى إنهيار الامبراطورية العثمانية:

( الأهم من هذه السيطرة المادية كان هو المدى الذى تغلغلت فيه الأفكار والقيم الغربية إلى صميم الروح العربية ، حتى أنتجت جيلاً من النخبة المثقفة العربية المستعدة للتعبد فى الصوامع النصرانية طبعا ، بل فى صوامع العلم والتكنولوجيا التى أصبح الغرب نفسه يؤمن بها ، ذلك أن هذه الأصنام الغربية الجديدة التى أثبتت قدرتها على نسف إيماننا بالمسيح ستنسف إيمانهم بالله بالطريقة نفسها . )

ثم يدعو الغرب إلى القضاء على الإسلام ، ويحذره من النهضة الإسلامية قائلاً : ( إن تشجيع الإسلام على القيام بنهضة تصل إلى نوع جديد من الجهاد وجعله يفترض فى نفسه القدرة على النجاح فى ذلك دون أن تجابه صلابته بصلابتنا سيكون معناه الحكم على العالم المسيحى بمصير خسيس تعيس يجلبه على نفسه ، وعندئذ سيكون العالم المسيحى مستحقاً لمثل هذا المصير . )

ثم يدعو إلى استعمال كافة الوسائل التى تحول دون ذلك ، وألا يستبعد أخيراً اللجوء إلى استعمال القوة المسلحة .

صميم المعركة الدائرة الآن ليس فى ظواهرها السياسية أو العسكرية ولكنه فى أعماق مشكلة الذات الثقافية .

وهنا لم يتركنا الله ورسوله حيارى أمام الحل المطلوب .

وهو حل ثقافى فى المقام الأول وبخاصة بعد أن ذابت قلاع المقاومة المتقدمة .

إنه حل المحافظة على الذات .

حل المحافظة على التميز .

حل المحافظة على الخصوصية .

حل الغربة .

( بدا الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء . )

لكى نكون نحن :

ولكى نتهيأ لنصر موعود ليس لغير الذات الإسلامية .

ولكى نقدم للعالم شيئاً غير ماهو فيه ، مما بدت عوراته ، وانحلت قوائمه ، وأصبح على شفا جرف هار من انهيار مرصود .

يقول تعالى : ﴿ **أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ، ولايحض على طعام المسكين .** ﴾ .

تلك جميعا صفات الحضارة المسيحية اليهودية الإلحادية المعاصرة .

يدع اليتيم - فى غير احتفالات الشاشة التليفزيونية والدعاية النفاقية .

ومنه دع النسل ، وصده ، وبيعه أشلاء فى أسواق الطب الحديث .

ولايحض على طعام المسكين ، فى غير احتفالات الشاشة التليفزيونية والدعايات النفاقية .

ومنه التلهى بمجاعات العالم الثالث وردها إلى غير النهب الاستعمارى .

ثم تلتفت الآيات إلينا .

( فويل للمصلين ... )

نحن .

لماذا ؟ لأننا لانعمل بما يتفق مع هذه الصلاة .

وما الذى يتفق مع هذه الصلاة ؟

هو أن نهجر هؤلاء الذين يكذبون بالدين .

**﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين . ﴾** ٦٨ الأنعام .

أن نزيحهم من ثقافتنا .

تقتضى صلاتنا منا أن نجعل قبلتنا هى القبلة الإسلامية .

لا أن نجعل قبلتنا هناك فى الغرب .

وإلا كنا نصلى غير مصلين .

وإلا كنا مسلمين غير مسلمين .

وإلا كنا مرائين .

( الذين هم يراءون ... )

ويمنعون العون .

يمنعون العون عن الآخرين .

ولكنهم أولاً يمنعون عن أنفسهم العون من الله .

يمنعون عن أنفسهم العون الذى من شأنه أن تمدهم به الصلاة لو أنهم يصلون .

لو أنهم يصلون غير مرائين .

لو أنهم يصلون إلى قبلتهم ، وليس إلى قبلة الحضارة المسيحية اليهودية الالحادية !!!